المجلد الثالث

من صفحة 198 -303

وعجزهم. وجاء شبيب فنزل حمام أعين، فسرح الحجاج إليه الحرث بن معاوية الثقفي في نحو ألف من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب، فبادر إليه شبيب فقتله، وانهزم أصحابه إلى الكوفة وأخرج الحجّاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك، وجاء شبيب فنزل السبخة ظاهر الكوفة، وبنى فيها مسجداً وسرح الحجاج مولاه أبا الورد في غلمان لقتاله، فحمل عليه شبيب وقتله يظنه الحجّاج. ثم أخرج إليه مولاه طهمان كذلك فقتله، فركب الحجاج في أهل الشام وجعل سبرة بن عَبْد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك. وقعد على كرسيه ونادى في أهل الشام وحرضهم، فغضوا الأبصار وجثوا على الركب وشرعوا الرماح.

وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس معه ومع سويد بن سليم، ومع المحلل بن وائل. وحمل سويد وبيتوا وطاعنوه حتى انصرف. وقدم الحجّاج كرسيه وحمل المحلل ثانية فكذلك، وقدّم الحجاج كرسيه فثبتوا له وألحقوه بأصحابه وسرب شبيب سويد بن سليم

إلي أهل السكك، وكان عليها عروة بن المغيرة بن شعبة، فلم يطق دفاعه. ثم حمل شبيب فطاعنوه وردوه، وانتهى الحجّاج إلي مسجده وصعده وملك العرصة، وقال له خالد بن عتاب إئذن لي في قتالهم فإني موتور فأذن له فجاءهم من ورائهم وقتل أخا شبيب وغزالة إمرأته، وخرق عسكرهم وحمل الحجاج عليهم فانهزموا. وتخلف شبيب رداً لهم، فأمر الحجّاج أصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشر الناس.ثم سرح حبيب بن عَبْد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس لاتباعه وحذّره بياته، فانتهى في أثره إلي الأنبار، وقد افترق عن شبيب كثير من أصحابه للأمان الذي نادى الحجّاج به، فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسم حبيب جنده أرباعاً وتواصوا بالاستماتة، فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة. فما زالت قدم إنسان عن موضعها إلي آخر الليل. ثم نزل شبيب وأصحابه واشتدّ القتال وكثر القتلى، وسقطت الأيدي وفقئت الأعين. وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين ومن أهل الشام نحو مائة. وأدركهم الإعياء والفشل جميعاً. فانصرف شبيب

بأصحابه وقطع دجلة ومر في أرض خوخى. ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الأهواز وفارس إلي كرمان ليريح بها.

(وقد قيل) في هذه الحرب غير هذا، وهو أن الحجّاج بعث إليه أمراء واحداً بعد واحد فقتلهم، وكان منهم أعين صاحب حمام أعين، وكانت غزالة إمرأة شبيب نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين بالبقرة وآل عمران. فجاء لشبيب ودخل الكوفة ليلا

وأوفت بنذرها. ثم قاتلهم الناس وخرجوا. وقام الحجّاج في الناس يستشيرهم، وبرز إليه قتيبة وعذله في بعث الرعاع ينهزمون ويموت قائدهم، والرأي أن تخرج بنفسك فتحالمه، فخرج من الغد إلي السبخة وبها شبيب، واختفى مكانه عن القوم ونصب أبا الورد مولاه تحت اللواء فحمل عليه شبيب فقتله. ثم حمل على خالد بن عتاب في الميسرة ثم على مطرف بن ناجية في الميمنة فكشفهما. ونزل عند ذلك لحجّاج وأصحابه، وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد. وبينما هم على ذلك إذ اختلف الخوارج وقال مصقلة بن مهلهل الضبي لشبيب: ما تقول في صالح بن سرح؟ قال: برئت منه. فبريء مصقلة منه، وفارقه. وشعر الحجّاج باختلافهم فسرح خالد بن عتاب لقتالهم فقاتلهم في عسكرهم وقتل غزالة وبعث برأسها إلي الحجاج، فأمر شبيب من اعترضه فقتل حامله، وجاء به فغسله ودفنه. وانصرف الخوارج وتبعهم خالد. وقتل مضاد أخو شبيب، ورجع خالد عنهم بعد أن أبلى وسار شبيب إلي كرمان، وكتب الحجّاج إلي عَبْد الملك يستمدّه، فبعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبيّ في العساكر، فانفق فيهم المال وسرّحه بعد انصراف الخوارج بشهرين، وكتب إلي عامل البصرة، وهو الحكم بن أيوب زوج ابنته أن يبعث بأربعة آلاف فارس من جند البصرة إلي سفيان، فبعثهم مع زياد بن عمر العتكي فلحقه انقضاء الحرب.

وكان شبيب بعد أن استجم بكرمان أقبل راجعاً، فلقي سفيان بالأهواز فعبر إليه جسر دجيل، وزحف في ثلاثة كراديس فقاتلهم أشد قتال وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة، وسفيان وأهل الشام مستميتين يزحفون زحفاً حتى اضطّر الخوارج إلي الجسر، فنزل شبيب في مائة من أصحابه وقاتل إلي المساء، حتى إذا جاء الليل انصرف وجاء إلي الجسر فقدّم أصحابه وهو على أثرهم. فلما مر بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على حرف السفينة فسقط في الماء وغرق وهو يقول: وكان أمر الله مفعولا، ذلك تقدير العزيز العليم. وجاء صاحب الجسر إلي سفيان وهو يريد الإنصراف بأصحابه، فقال: إن رجلاً من الخوارج سقط، فتنادوا بينهم غرق أمير

المؤمنين ومرّوا وتركوا عسكرهم، فكبّر سُفيان وأصحابه وركب إلي الجسر وبعث إلي عسكرهم فحوى ما فيه، وكان كثير الخيرات ثم استخرجوا شبيباً من النهر ودفنوه.

خروج المطرف بن المغيرة بن شعبة:

لمّا ولي الحجاج الكوفة وتدمها وجد بني المغيرة صلحاء أشرافاً، فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفاً على المدائن، وحمزة على همذان، فكانوا أحسن العمال سيرة وأشدّهم على المريب. ولما جاء شبيب إلي المدائن نزل نهر شير، ومطّرف بمدينة الأبواب، فقطع مطّرف الجسر وبعث إلي شبيب أن يرسل إليه من يعرض عليه الدعوة، فبعث إليه رجلاً من أصحابه فقالوا: نحن ندعو إلي كتاب الله وسنة رسوله وإنا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتبسط بالجزية فقال مطّرف دعوتم إلي حق جورا ظاهراً وأنا لكم متابع فبايعوني على قتال هؤلاء الظلمة بإحداثهم، وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة وعلى الشورى كما تركها عمر بن الخطّاب حتى يولّي المسلمون من يرضونه، فإن العرب إذا علمت أن المراد بالشورى الرضا من قُرَيْش رضوا فكثر مبايعكم، فقالوا لا نجيبك إلي هذا! وأقاموا أربعة أيام يتناظرون في ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده، ثم دعا مطّرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب، وأنّ رأيه خلع عَبْد الملك والحجّاج فوجموا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه: لن والله يخفى على ا الحجاج شيء مما وقع، ولو كنت في السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك، ووافقه أصحابه فسار عن المدائن إلي الجبال، ولما كان في بعض الطريق دعا أصحابه إلي الخلع والدعاء إلي الكتاب والسُنة، وأن يكون الأمر شورى فرجع عنه بعض إلي الحجّاج منهم سُبْرَة بن عَبْد الرحمن بن مخنف . وسار مطّرف ومرّ بحُلْوَان وبها سُوَيْد بن عَبْد الرحمن السعدي مع الأكراد فاعترضوه، فأوقع مطّرف بهم وأثخن في الأكراد ومال عن همذان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمدّه بمال وسلاح فأمده سراً.وسار إلي قُم وقاشان فبعث عماله في نواحيه وفزع إليه من كل جانب، فجاءسويد بن سرحان الثقفي وبُكير بن هرون

النخعي من الري في نحو مائة رجل. وكان على الريّ عديّ بن زياد الأيادي، وعلى أصبهان البّراء بن قُبيصة فكتب إلي الحجّاج بالخبر، واستمدّه فأمدّه بالرجال وكتب إلي عديّ بالري أن يجتمع مع البّراء على حرب مطّرف، فاجتمعوا في ستة آلاف وعديّ أميرهم. وكتب الحجّاج إلي قيس بن سعد البجلي وهو على شرطة حمزة بهمذان، بأن يقبض على حمزة ويتولى مكانه، فجاءه في جمع من عجل وربيعة وأقرأه كتاب الحجّاج فقال: سمعاً وطاعة. وقبض قيس عليه وأودعه السجن. وسار عديّ والبّراء نحو مطّرف فقاتلوه، وانهزم أصحابه وقتل يزيد مولى أبيه. وكان صاحب الراية، وقتل من أصحابه عَبْد الرحمن بن عَبْد الله بن عفيف الأزدي وكان ناسكاً صالحاً، وكان الذي تولى قتل مطّرف عمر بن هبيرة الفزاريّ. وبعث عديّ أهل البلاء إلي الحجّاج وأمر بكير بن هرون وسويد بن سرحان، وكان الحجّاج يقول مطّرف ليس بولد للمغيرة وإنما هو ابن مصقلة الحر، لأن أكثر الخوارج كانوا من ربيعة ولم يكن فيهم من قيس.

اختلاف الازارقة:

قد تقدّم لنا مقام المهلب في قتال الأزارقة على سابور بعد مسير عتاب عنه إلي

الحجّاج، وأنه أقام في قتالهم سنة. وكانت كرمان لهم وفارس للمهلب فانقطع عنهم المدد وضاقت حالهم فتأخروا إلي كرمان، وتبعهم المهلّب ونزل خيررفت مدينة كرمان، وقاتلهم حتى أزالهم عنها. وبعث الحجّاج العمال على نواحيها وكتب إليه عَبْد الملك بتسويغ للمهلّب معونة له على الحرب، وبعث الحجّاج إلي المهلب البراء بن قبيصة يستحثه لقتال الخوارج، فسار وقاتلهم والبراء مشرف عليه من ربوة واشتد قتاله، وجاء البراء من الليل فتعجب لقتاله وانصرف إلي الحجّاج وأنهى غدر المهلّب، وقاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء. ثم وقع الاختلاف بينهم فقيل في سببه إن المقعطر الضبي، وكان عاملاً لقطريّ على بعض نواحي كرمان قتل

بعض الخوارج، فطلبوا القود منه فمنعه قطري وقال: تأول فأخطأ، وهو من ذوي السابقة، فاختلفوا وقيل بل كان رجل في عسكرهم يصنع النصول مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب، فكتب المهلب كتاباً مع رجل وامرأة أن يلتقيه في عسكرهم، وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت إليك ألف درهم. فلما وقف على الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله، فأنكر عليه عَبْد ربه الكبير واختلفوا.(وقيل) بعث المهلّب نصرانياَ وأمره بالسجود لقطريّ، فقتله بعض الخوارج وولّوا عَبْد ربه الكبير وخلعوا قطرياً فبقي في نحو الخمسين منهم، وأقاموا يقتتلون شهراً، ثم لحق قطريّ بطبرستان وأقام عَبْد ربه بكرمان، وقاتلهم المهلّب وحاصرهم بخيرفت. ولما طال عليهم الحصار خرجوا بأموالهم وحريمهم وهو يقاتلهم حتى أثخن فيهم. ثم دخل خيرفت وسار في اتباعهم فلحقهم على أربعة فراسخ، فقاتلهم هو وأصحابه حتى أعيوا وكفّ عنهم. ثم استمات الخوارج ورجعوا فقاتلوه حتى يئس من نفسه. ثم نصره الله عليهم وهزمهم وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف كان منهم عَبْد ربه الكبير، ولم ينج منهم إلا القليل.وبعث المهلّب المبشر إلي الحجّاج فأخبره وسأله عن بني المهلب فأثنى عليهم واحداً واحداً. قال فأيهم كان أنجد؟ قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها. فاستحسن قوله وكتب إلي المهلّب يشكره ويأمره أن يولّي على كرمان من يراه وينزل حامية ويقدّم عليه، فولى عليها إبنه يزيد، وقدم على الحجّاج فاحتفل لقدومه وأجلسه إلي جانبه وقال: يا أهل العراق أنتم عبيد المهلّب! وسرحّ سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش عظيم نحو طبرستان لطلب قطريّ وعبيدة بن هلال ومن معهم من الخوارج. والتقوا هنالك بإسحق بن محمد بن الأشعث في أهل الكوفة، واجتمعا على طلبهم، فلقوهم في شعب من شعاب طبرستان وقاتلوهم فافترقوا عن قطريّ ووقع عن دابته فتدهده إلي أسفل الشعب، ومرّ به علج فاستقاه على أن يعطيه سلاحه. فعمد إلي أعلى الشعب وحدّر عليه حجراً من فوق الشعب فأصابه في رأسه فأوهنه، ونادى بالناس فجاء في أوّلهم نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمي وجعفر بن عَبْد الرحمن بن مخنف والسياح بن محمد بن الأشعث، وحمل رأسه أبو الجهم إلي

إسحق بن محمد، فبعث به إلي الحجّاج، وبعثه الحجاج إلي عَبْد الملك.وركب سفيان فأحاط بالخوارج وحاصرهم حتى أكلوا دوابهم، ثم خرجوا إليه واستماتوا فقتلهم أجمعين، وبعث برؤوسهم إلي الحجّاج ودخل دنباوند وطبرستان، فكان هناك حتى عزله الحجّاج قبل دير الجماجم قال بعض العلماء: وانقرضت الأزارقة بعد قطريّ وعُبيدة آخر رؤسائهم وأوّل رؤسائهم نافع بن الأزرق، واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة إلي أن افترقوا كما ذكرناه سنة سبع وسبعين فلم تظهر لهم جماعة إلي رأس الماثة.

خروج شوذب:

خرج شودب هذا أيام عمر بن عَبْد العزيز على رأس المائة، واسمه بسطام وهو من بني يشكر. فخرج في مائتي رجل وسار في خوخى، وعامل الكوفة يومئذ عَبْد الحميد بن عَبْد الرحمن بن زيد بن الخطّاب. فكتب إليه عمر أن لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه إليهم الجند مع صليب حازم، فبعث عَبْد الحميد بن جرير بن عَبْد الله البجلي في ألفين فأقام بإزائه لا يحرّكه. وكتب عمر إلي شودب: بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله، وكنت أولى بذلك مني، فهلم إليّ أناظرك فإن كان الحق معنا دخلت مع الناس، وإن كان الحق معك نظرنا في أمرك. فبعث إليه عاصماً الحبشي مولى بني شيبان ورجلاً من بني يشكر فقدما عليه بخاصر فسألهما: ما أخرجكم وما الذي نقمتم؟ فقال عاصم ما نقمنا سيرتك إنك لتتحرى العدل والإحسان، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر مشورة من الناس أم غلبت عليه؟ قال عمر: ما سألته ولا غلبت عليه. وعهد إليّ رجل قبلي فقمت ولم ينكر أحد، ومذهبكم الرضا لكل من عدل، وإن أنا خالفت الحق فلا طاعة لي عليكم. قالا: فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فتبرأ منهم والعنهم. فقال عمر: أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها، وإن الله لم يشرع اللعن. وقد قال إبراهيم: ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وقال : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. وبقي تسمية أعمالهم مظالم ذماً، ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون، أنتم لا تلعنونه وهو أخبث

الخلق، فكيف ألعن أنا أهل بيتي وهم مصلّون صائمون ولم يكفروا بظلمهم! لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلي الإيمان والشريعة، فمن عمل بها قبل منه، ومن أحدث حدثاً فرض عليه الحدّ. فقالا: فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلي التوحيد والإقرار بما نزل عليه. فقال عمر:وليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن القوم أسرفوا على أنفسهم. قال عاصم: فابرأ منهم ورد أحكامهم. قال عمر: أتعلمان أن أبا بكر سبى أهل الردة وأن عمر ردها بالفدية ولم يبرأ من أبي بكر، وأنتم لا تبرؤون من واحد منهما قال: فأهل النهروان خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتتلوا ولا استعرضوا، وخرج أهل البصرة فقتلوا عَبْد الذ بن خباب وجارية حاملاً، ولم يتبرأ من لم يقتل ممن قتل واستعرض، ولا أنتم تتبرؤون من واحد منهما، وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم ؟ ولا يسعني أنا البراءة من أهل بيتي والدين واحد. فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردوا المقبول، وقد أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة الإِسلام وعصم ماله ودمه، وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الأديان وتحرمون دماءهم وأموالهم.فقال اليشكري: من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها ثم صيّرها بعده إلي رجل غير مأمون، أتراه أدّى الحق الذي لزمه؟ فكيف تسلم هذا الأمر بعدك إلي يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه؟ فقال: إنما ولاّه غيري والمسلمون أولى بذلك بعدي. قال: فهو حق ممن فعله وولاّه، قال أنظراني ثلاثاً. ثم جاءه عاصم فرجع عن رأي الخوارج، وقال له اليشكري: أعرض عليهم ما قلت واسمع حجتهم. وأقام عاصم عند عمرو، وأمر له بالعطاء، وتوفي عمر لأيام قلائل ومحمد بن جرير ينتظر عود الرسل. ولما مات عمر كتب عَبْد الحميد إلي محمد بن جرير بمناجزة شوذب قبل أن يصل إليهم خبرعمر، فمالت الخوارج: ما حالف هؤلاء ميعادهم إلاّ وقد مات الرجل الصالح. واقتتلوا فانهزم حمد بن جرير واتبعه الخوارج إلي الكوفة، ورجعوا وقدم على شودب صاحباه وأخبراه بموت عمر، وسرّح يزيد تميم بن الحباب في ألفين فهزمه أصحابه، ثم بعث إليهم الشجاع بن وادع في ألفين فقتلوه وهزموه بعد أن

قتل منهم هدبة ابن عم شودب، وبقي الخوارج بمكانهم. وجاء مسلمة إلي الكوفة فأرسل سعيد بن عمرو

الحريشي في عسكر آلاف، فاستماتت الخوارج وكشفوا العساكر مراراً ثم حملوا عليهم فطحنوهم طحناً.وقتل شودب وأصحابه ولم يبق منهم أحد، وضعف أمر الخوارج على ظهور أيام هشام سنة عشرين ومائة بهلول بن بشر بن شيبان وبلغت كنارة. وكان لمّا عزم على الخوارج حج ولقي بمكة من كان على رأيه، فأبعدوا إلي قرية من قرى الموصل واجتمعوا بها وهم أربعون وأمروا عليهم البهلول وأخفوا أنفسهم بأنهم قدموا من عند هشام. ومرّوا بقرية كان بهلول ابتاع منها خلًّا فوجده خمراً وأبى البائع من رده، واستعدى عليه عامل القرية، فقال: الخمر خير منك ومن قومك، فقتلوه وأظهروا أمرهم، وقصدوا خالد القسري بواسط، وتعللوا عليه بأنه يهدم المساجد ويبني الكنائس ويولّي المجرّد على المسلمين.وجاء الخبر إلي خالد فتوجه من واسط إلي الحيرة وكان بها جند من بني العين نحو ستمائة بعثوا مدداً لعامل الهند، فبعثهم خالد مع مقدمهم لقتال بهلول وأصحابه، وضمّ إليهم مائتين من الشرط والتقوا على الفرات، فقتل مقدمهم وانهزموا إلي الكوفة. وبعث خالد عابداً الشيباني من بني حوشب بن يزيد بن رويم فلقيه بين الموصل والكوفة، فهزمهم إلي الكوفة وارتحل يريد الموصل، ثم بدا له وسار يريد هشاماً بالشام، وبعث خالد جنداً من العراق وعامل الجزيرة جنداً وبعث هشام جنداً فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكحيل وهم في عشرين ألفاً وبهلول في سبعين، فقاتلوا واستماتوا وصرع بهلول. وسأله أصحابه العهد فعهد إلي دعامة الشيباني ثم إلي عمر اليشكري من بعده. ومات بهلول من ليلته وهرب دعامة وتركهم، ثم خرج عمر اليشكري فلم يلبث أن قتل.(ثم خرج) على خالد بعد ذلك بسنتين الغفري صاحب الأشهب، وبهذا كان يعرف، فبعث إليه السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج، ولقيهم عبيد أهل الكوفة وغوغاؤهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى، فوجّه إليه خالد جنداً فقتلوا أصحابه وأثخن بالجراح، وأتى به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل. وكان يسامره بالليل وسعى بخالد إلي هشام، وأنه أخذ حروريا يستحق القتل فجعله سميراً، فكتب إليه

هشام بقتله فقتله.ثم خرج بعد ذلك الصخارى بن شبيب الفريفية فمضى وندم خالد فطلبه فلم يرجع، وأتى جبل وبها نفر من اللّات بن ثعلبة فأخبرهم وقال: إنما أردت التوصل إليه لأقتله بفلان من قعدة الصفرية كان خالد قتله صبراً. ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه إليهم خالد جنداً فلقوهم بناحية المناذر فاقتتلوا فقتل الصحارى وأصحابه أجمعون.وردّ أمر الخوارج بعد ذلك مرّة فلما وقعت الفتن أيام هشام بالعراق والشام وشغل مروان بمن انتقض عليه فخرج بأرض كفريموتا سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأي الحرورية، وخرج بسطام البهسي في مثل عدّتهم من ربيعة، وكان مخالفاً لرأيه، فبعث إليه سعيد بن بهدل قائده الخبيري في مائة وخمسين فبيت كم وقتل بسطاماً ومن معه، ولم ينج منهم إلا أربعة عشر رجلا. ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق فمات هنالك، واستخلف الضحاك بن قيس الشيباني فبايعه السراة وأتى أرض الموصل وشهرزور.فبعث إليه من الصغرية أربعة آلاف أو يزيدون.

وولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحريشي وعزل به عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز، فامتنع عَبْد الله بالحيرة، وسار إليه النضر وتحاربا أشهراً. وكانت الصغرية مع النضر عصبة لمروان لطلبه بدم الوليد وأمه قيسية. وكانت اليمنية مع ابن عمر عصبية لدخولهم في قتل الوليد بما فعله مع خالد القسري، فلما علم الضحاك والخوارج باختلافهم، أقبل إلي العراق سنة سبع وعشرين وزحف إليهم فتراسل ابن عمر والنضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالكوفة، وكل واحد منهما يصلي بأصحابه وابن عمر أمير على الناس وجاء الخوارج فقاتلوهم فهزموهم الى خندقهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني كذلك فسلك الناس إلى واسط منهم النضر نب سعيد الحريشي ومنصور ابن جمهور وإسماعيل أخو خالد القسري وغيرهم من الوجوه.فلحق ابن عمر بواسط ، واستولى الضحّاك على الكوفة، وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر. ثم زحف إليهما الضحّاك فاتفقا وقاتلا حتى ضرستهما الحرب، ولحق منصور بن جمهور بالضحّاك والخوارج وبايعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه، وخرج إليهم وصلّى خلف الضحّاك وبايعه وكان معه سليمان بن هشام وصل إليه هارباً من حمص لمّا انتقض بها وعليه... عليها مروان فلحق

بابن عمر وبايع معه الضحّاك وصار معه وحرّضه على مروان... انما لحق بالضحّاك وهو يحاصر نضيراً وتزوج أخت شيبان الحروري. فرجع الضحّاك إلي الكوفة وسار منها إلي الموصل بعد عشرين شهراً من حصار واسط، بعد أن دخل أهل الموصل وعليهم القطرن أم أكمه من بني شيبان عامل لمروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطرن فقتل ومن معه وبلغ الخبر إلي مروان وهو يحاصر حمص فكتب إلي ابنه عَبْد الله أن يسير إلي... يمانع الضحّاك عن توسط الجزيرة فسار في ثمانية آلاف فارس

والضحاك في مائة ألف وحاصره بنصيبين. ثم سار مروان بن محمد إليه فالتقيا عند كفريموتا من نواحي ماردين فقاتله عامة يومه إلي الليل وترجّل الضحّاك في نحو ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعثر على الضحّاك في القتلى فبعث مروان برأسه إلي الجزيرة وأصبح الخوارج فبايعوا الخبيري قائد الضحّاك، وعاودوا الحرب مع مروان فهزموه وانتهوا إلي خيامه فقطعوا أطنابهم وجلس الخبيري على فرشه والجانحان ثابتان، وعلى الميمنة عَبْد الله بن مروان وعلى الميسرة إسحق بن مسلم العقيلى فلما انكشفت قلّة الخوارج أحاطوا بهم في مخيم مروان فقتلوهم جميعاً والخبيري معهم ورجع مروان من نحو ستة أميال .

وانصرف الخوارج وبايعوا شيبان الحروري وهو شيبان بن عَبْد العزيز اليشكري ويكنى أبا الدلقاء. وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ وأقام في قتالهم أياماً، وانصرف عن شيبان كثير منهم وارتحلوا إلي الموصل بإشارة سليمان بن هشام وعسكروا شرقي دجلة، وعقدوا الجسور، واتبعهم مروان فقاتلهم لتسعة أشهر، وقتل من الطائفتين خلق كثير. وأسر ابن أخ لسليمان بن هشام إسمه أُمَيَّة بن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه. وكتب مروان إلي يزيد بن عمر بن هبيرة وهو بقرقيسيا يأمره بالسير إلي العراق وولّاه عليها، وعلى الكوفة يومئذ المثنى بن عمران العائذي من قُرَيْش خليفةً للخوارج، فلقي ابن هبيرة بعين التمر، فاقتتلوا وانهزمت الخوارج. ثم تجمّعوا له بالنخيلة ظاهر الكوفة فهزمهم، ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيبان إليهم عبيدة بن سوار في خيل عظيمة فهزمهم ابن هبيرة، وقتل عبيدة واستباح عسكرهم، واستولى على العراق.وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فمضى إلي الماهين وغلب عليها وعلى الخيل جميعاً، وسار ابن هبيرة إلي واسط فحبس ابن عمر، وكان سليمان بن حبيب عامل ابن عمر على الأهواز، فبعث ابن هبيرة إليه نباتة بن حنظلة، وبعث هو داود بن حاتم والتقيا على دجلة

فانهزم داود وقتل. وكتب مروان إلي ابن هبيرة أن يبعث إليه عامر بن ضبابة المزنيّ فبعته في ثمانية آلاف وبعث شيبان لاعتراضه الجون بن كلاب الخارجي في جمع فانهزم عامر وتحصّن بالسند، وجعل مروان يمدّه بالجنود، وكان منصور بن جمهور بالجبل يمدّ شيبان بالأموال. ثم كثرت جموع عامر فخرج الى الجون والخوارج الذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجون وسار قاصداً الخوارج بالموصل، فارتحل شيبان عنها وقدم عامر على مروان فبعثه في اتباع شيبان، فمرّ على الجبل وخرج على بيضاء

فارس، وبها يومئذ عامر بن عَبْد الله بن حطوبة بن جعفر في جموع كثيرة، فسار ابن معاوية إلي كرمان وقاتله عامر فهزمه ولحق بهراة، وسار عامر بمن معه فلقي شيبان والخوارج بخيرفت فهزمهم واستباح عسكرهم، ومضى شيبان إلي سجستان فهلك بها سنة ثلاثين ومائة. وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل شهراً. ثم انهزم شيبان ولحق بفارس وعامر بن صراة في أتباعه، ثم سار شيبان إلي جزيرة ابن كاوان وأقام بها.

ولما ولي السفاح بعث حارثة بن خزيمة لحرب الخوارج هنالك لموجدة وجدها عليه، فأشير عليه ببعثه لذلك. فسار في عسكر إلي البصرة وركب السفن إلي جزيرة ابن كاوان، وبعث فضالة بن نعيم النهيلي في خمسمائة، فانهزم شيبان إلي عمان وقاتل هناك، وقتله جلندي بن مسعود بن جعفر بن جلندي ومن معه سنة أربع وثلاثين. وركب سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه إلي الهند بعد مسير شيبان إلي جزيرة ابن كاوان، حتى إذا بويع السفاح قدم عليه وأنشده سديف البيتين المعروفين وهما :

#¬ لا يغرنك ما ترى من رجــال إن بين الضلوع داء دويا

#ـ فضع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها أُمويا

فقتله السفاح وانصرف مروان بعد مسير شيبان إلي الموصل إلي منزله بحران، فلم يزل بها حتى سار إلي الزاب. ومضى شيبان بعد سلمة إلي خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر بن سيار والكرماني والحرث بن شريح، وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسية فكان له من الحوادث معهم ما ذكرناه، واجتمع مع علي بن الكرماني على قتال نصر سن سيار. فلما صالح الكرماني أبا مسلم كما مرّ وفارق شيبان تنحى شيبان عن عمر لعلمه أنه لا يقاومه، ثم هرب نصر بن سيار إلي سرخس، واستقام أمر أبي مسلم بخراسان فأرسل إلي شيبان يدعوه إلي البيعة ويأذنه بالحرب، واستجاش بالكرماني فأبى. فسار إلي سرخس واجتمع إليه الكثير من بكر بن وائل،

وأرسل إليه أبو مسلم في الموادعة، فحبس الرسل، فكتب أبو مسلم إلي بسام بن إبراهيم مولى بني ليث بالمسير إلي شيبان

فسار إليه فهزمه وقتل في عدة من بكر بن وائل. ويقال إن خزيمة بن حازم حضر مع بسام في ذلك.

خبر أبي حمزة وطالب وأسحق:

كان إسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البصري وكان من الخوارج الإباضية، وكان يوافي مكة كل موسم يدعو إلي خلاف مروان، وجاء عَبْد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له: إنطلق معي فإني مطاع في قومي. فانطلق معه إلي حضرموت وبايعه على الخلافة. وبعثه عَبْد الله سنة تسع وعشرين مع بلخ بن عقبة الأزدي في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف، وعامل المدينة يومئذ عَبْد الواحد بن سليمان بن عَبْد الملك، فطلبهم في الموادعة حتى ينقضي الموسم.وأقام للناس حجّهم ونزل بمنى، وبعث إلي أبي حمزة عبيد الله بن حسن بن الحسن، ومحمد بن عَبْد الله بن عمر بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن ربيعة بن أبي عَبْد الرحمن في أمثالهم. فكشر في وجه العلوي والعثماني وانبسط إلي البكري والعمري وقال لهما: ما خرجنا إلا بسيرة أبويكما! فقال له عبيد الله بن حسن: ما جئنا للتفضيل بين آبائنا، وإنما جئنا برسالة من الأمير وربيعة يخبرك بها.ثم أحكموا معه الموادعة إلي مدتها. ونفر عَبْد الواحد في النفر الأول فمضى إلي المدينة وضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة وبعث عليهم عَبْد العزيز بن عَبْد الله بن عمر بن عثمان، فانتهوا إلي فديك. وجاءتهم رسل أبي حمرة يسألونهم التجافى عن حربهم، وأن يخلوا بينهم وبين عدوهم. فلما نزلوا قديد وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب، فطلع عليهم أصحاب أبي حمزة من الغياض فأثخنوا فيهم، وكان قتلاهم نحو سبعمائة من قُرَيْش. وبلغ الخبر إلي عَبْد الواحد فلحق بالشام. ودخل أبو حمزة المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين وخطب على المنبر وأعلن بدعوته ووعظ، وذكر وردّ مقالات من عليهم وسفه رأيهم وأحسن السيرة في أهل المدينة واستمالهم حتى سمعوه

يقول: من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر، وأقام ثلاثة أشهر، ثم ودّعهم وسار نحو الشام.وكان مروان قد سرح إليهم عَبْد الملك بن محمد بن عطية بن هَوازِن في أربعة آلاف ليقاتل الخوارج حتى يبلغ اليمن، فلقي أبا حمزة في وادي القرى، فانهزمت الخوارج وفتل أبو حمزة ولحق فلهم بالمدينة. وسار عطية في أثرهم إلي المدينة فأقام بها شهراً، ثم سار إلي اليمن، واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عروة، وعلى مكة رجلاً من أهل الشام. وبلغ عَبْد الله طالب الحق مسيره إليه وهو بصنعاء فخرج للقائه، واقتتلوا، وقتل طالب الحق، وسار ابن عطية إلي صنعاء وملكها. وجاء كتاب مروان بإقامة الحج بالناس، فسار في إثني عشر رجلاً ومعه أربعون ألف دينار وخلف ثقله بصنعاء، ونزل الحرف فاعترضه ابن حماية المرادي في جمع، وقال له ولأصحابه: أنتم لصوص فاستظهروا بعهد مروان فكذبوه، وقاتلهم فقتلوه. وركد ريح الخوارج من يومئذ إلي أن ظهرت الدولة العباسية وبويع المنصور بعد السفّاح.(فخرج سنة سبع وثلاثين) بالجزيرة ملبد بن حرملة الشيباني فسارت إليه روابط الجزيرة في ألف فارس فهزمهم وقاد منهم. ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبي ومهلل بن صَفْوان مولى المنصور، ثم نزار من قواد خراسان، ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح فهزمهم كلهم واحداً بعد واحد، وقتل منهم. ثم سار إليه حميد بن قحطبة وهو عامل الجزيرة فهزمه وتحصن حميد منه، فبعث المنصور عَبْد العزيز بن عَبْد الرحمن أخا عَبْد الجبار في الجيوش، ومعه زياد بن مسكان فأكمن له الملبد، وقاتلهم تم خرج الكعبين فانهزم عَبْد العزيز وقتل عامّة أصحابه، فبعث المنصور حازم بن خزيمة في ثمانية آلاف من أهل خراسان فسار إلي الموصل وعبر إليه الملبد دجلة فقاتله فانهزم أهل الميمنة وأهل الميسرة من أصحاب حازم، وترجل حازم وأصحابه، وترجل ملبد كذلك.وأمر حازم أصحابه فنضحوهم بالنبل، واشتد القتال وتزاحفت الميمنة والميسرة ورشقوهم، فقتل ملبد في ثمانمائة ممن ترجل معه، وثلثمائة قبل أن يترجل. وتبعهم فضالة صاحب الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين. ثم خرج سنة ثمان وأربعين أيام المنصور بنواحي الموصل حسان بن مخالد بن مالك بن الأجدع

الهمداني أخو مسروق. وكان على الموصل الصفر بن يجدة وليها بعد حرب ابن عَبْد الله فسار إليهم فهزموه إلي الدجلة. وسار حسان إلي العمال ثم إلي البحر، وركب إلي السند وقاتل، وكاتب الخوارج بعمان يدعوهم ويستأذنهم في اللحاق بهم فأبوا، وعاد إلي الموصل فخرج إليه الصفر بن الحسن بن صالح بن جنادة الهمذاني وهلال، فقتل هلالاً واستبقى ابن الحسن، فاتهمه بعض أصحابه بالعصبية وفارقوه. وقد كان حسان أمه من الخوارج وخاله حفص بن أشتم من فقهائهم. ولما بلغ المنصور خروجه قال: خارجي من همذان فقيل له إنه ابن اخت حفض بن أشتم، قال: من هناك وإنما أنكر المنصور ذلك لأن عامة همذان شيعة.وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصل، فإنهم عاهدوه على أنهم إن خرجوا فقد فلت ديارهم وأموالهم، وأحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى بن شبرمة واستفتاهم فتلطفوا له في العفو، فأشار إلي أبي حنيفة فقال: أباحوا ما لا يملكون كما لو أباحت إمرأة، فزوّجها بغير عقد شرعيّ، فكف عن أهل الموصل.ثم خرج ايام المهدي بخراسان يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرة واجتمع شركس، فبعث إليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني ابن أخي معن فاقتتلوا قتالاً شديداً وأسره يزيد وبعث به إلي المهدي موثقاً، وحمل من النهروان على بعير وحوّل وجهه إلي ذنبه كذلك، فدخلوا إلي الرصافة وقطعوا ثم صلبوا.وكان حروباً متعوداً فغلب على بوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان، وكان على بوشنج مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفارياني وقبض معه. ثم خرج معه أيام المهدي بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعي سنة تسع وستين وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوي أمره، ثم اغتاله بعض أصحابه فقتله.ثم خرج آخر أيام المهدي بأرض الموصل خارجي من بني تميم إسمه ياسين يميل إلي مقاتلة صالح بن مسرح، فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة، فبعث إليها المهدي القائد أبا هريرة محمد بن مروخ وهزيمة بن أعين مولى بني ضبة فحارباه حتى قتل في عدة من أصحابه وانهزم الباقون. ثم خرج بالجزيرة أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف

من بني مغلب، وقتل إبراهيم بن خالد بن خزيمة بنصيبين، ثم دخل أرمينية وحاصر- خلاط عشرين يوماً وافتدوا بثلاثين

ألفاً. ثم سار إلي أذربيجان ثم إلي حُلوان وأرض السواد، وعبر إلي غرب دجلة وعاث في أرض الجزيرة، فبعث إليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، وهو ابن أخي معن في العساكر فمكث يقاتله، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برجم وائل. فكتب إليه الرشيد يتهدده فناجزه يزيد الحرب في رمضان سنة تسع وسبعين وقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل الوليد وجيء برأسه. ثم أصبحت اخته مستلئمة للحرب فخرج إليها يزيد وضربها على رأسها بالرمح وقال لها: أعدي فقد فضحت العشيرة، فاستحيت وانصرفت وهي تقول في رثائه الأبيات المشهورة الي منها:

#¬ أيا شجرالخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

#∟ فتى لا يجب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف

وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام، فلم يخرج بعد ذلك إلا شُذاذ متفرقون يستلحمهم الولاة بالنواحي، إلا ما كان من خوارج البربر بأفريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم من لدن مسيرة الظفري سنة ثلاث وعشرين ومائة. ثم فشت دعوة الإباضية والصفرية منهم في قوارة ولماية ونفزة ومغيلة وفي مغراوة وبني يفرن من زناتة حسبما بذكر في أخبار البربر، لسي رستم من الخوارج بالمغرب دولة في تاهرت من الغرب الأوسط نذكرها في أخبار البربر أيضاً. ثم سار بإفريقية منهم على دولة العبيديين خلفاء القيروان أبو يزيد بن مخلد المغربي، وكانت له معهم حروب وأخبار نذكرها فى موضعها. ثم لم يزل أمرهم في تناقص إلي أن اضمحلت ديانتهم وافترقت جماعتهم، وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أول الأمر. ففي بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد في قصور ربع ووادیه، وفي مغراوة من شعوب زناتة يسمون الراهبية نسبة إلي عَبْد الله بن وهب الراهبي. أول من بويع منهم أيام علي بن أبي طالب. وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة، وكذلك في جبال طرابلس، وزناتة أثر باق من تلك النحلة يدين بها أولئك

البربر في المجاورة لهم مثل ذلك. وتطير إلينا هذا العهد من تلك البلاد دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين، وتمهيد عقائده، وفروعه مباينة لمناحي السنة وطرقها بالكلية، إلا أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب،

وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة.وكان بنواحى البحرين وعمان إلي بلاد حضرموت وشرقي اليمن ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة، إلي أن خرج علي بن مهدي من خولان باليمن ودعا إلي هذه النحلة. وغلب يومئذ من كان من الملوك باليمن، واستلحم بنى الصليحي القائمين بدعوة العبيديين من الشيعة وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن، واستولوا أيضاً على زبيد ونواحيها من يد موالي بني نجاح ومولى ابن زياد كما نذكر ذلك كله في أخبارهم إن شاء الله سبحانه وتعالى. فلتصفح في أماكنها. ويقال: إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

الدولة الإِسلامية بعد افتراق الخلافة:

لم يزل أمر الإِسلام جميعاً دولة واحدة أيام الخلفاء الأربعة وبني أُمَيَّة من بعدهم لاجتماع عصبية العرب. ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة، وهم الدعاة لأهل البيت، فغلب دعاة بني العباس على الأمر واستقلوا بخلافة الملك، ولحق الفل من بني أُمَيَّة بالأندلس، فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم، ومن هرب، فلم يدخلوا في دعوة بني العباس، وانقسمت لذلك دولة الإِسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب. ثم ظهر دعاة أهل البيت بالمغرب والعراق من العلوية ونازعوا خلفاء بني العباس واستولوا على القاصية من النواحي كالأدارسة بالمغرب الأقصى، والعبيديين بالقيروان ومصر، والقرامطة بالبحرين، والدواعي بطبرستان والديلم والأطروش فيها من بعده. وانقسمت دولة الإِسلام بذلك دولاً متفرقة نذكرها واحدة بعد واحدة. ونبدأ منها أولاً بذكر الشيعة ومبادىء دولهم، وكيف انساقت إلي العباسية، ومن بعدهم إلي آخر دولهم. ثم نرجع إلي دولة بني أُمَيَّة بالأندلس. ثم نرجع إلي دولة الدعاة للدولة العباسية في النواحي من العرب والعجم كما ذكرناه في برنامج الكتاب، والله الموفق للصواب.

مبدأ دولة الشيعة

(أعلم) أن مبدأ هذه الدولة أن أهل البيت لمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قُرَيْش. وفي الصحيح أن العباس قال لعلي في وجع رسول الله

صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه: اذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال علي: إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده. وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فاختلفوا عنده في ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب. وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى اللهعليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم، حتى لقد ذهب كثير من الشيعة إلي أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى في مرضه ذلك لعلي، ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه. وقد أنكرت هذه الوصية عائشة وكفى بإنكارها. وبقي ذلك معروفاً من أهل البيت وأشياعهم.وفيما نقله أهل الآثار، أن عمر قال يوماً لابن العباس: إن قومكم يعني قريشاً ما

أرادوا أن يجمعوا لكم، يعني بني هاشم، بين النبوَّة والخلافة فتحموا عليهم، وأن ابن عباس نكر ذلك، وطلب من عمر إذنه في الكلام فتكلم بما عصب له. وظهر من محاورتهما أنهم كانوا يعلمون أن في نفوس أهل البيت شيئاً من أمر الخلافة والعدول عنهم بها. وفي قصة الشورى: أن جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل به إلي سواه تأففوا من ذلك وأسفوا له: مثل الزبير ومعه عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وغيرهم. إلا أن القوم لرسوخ قدمهم في الدين، وحرصهم على الإلفة، لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفف والأسف.

ثم لمّا فشا التكبر على عثمان، والطعن في الآفاق، كان عَبْد الله بن سبأ ويعرف بابن السوداء، من أشد الناس خوضاً في الشيع لعلي بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول إليه عن عليّ، وأنه وليّ بغير حق، فأخرجه عَبْد الله بن عامر من البصرة، ولحق بمصر. فاجتمع إليه جماعة من أمثاله جنحوا إلي الغلوّ في ذلك، وانتحال المذاهب الفاسدة فيه، مثل خالد بن ملجم وسوزان بن حمدان وكنانة بن بشر وغيرهم.ثم كانت بيعة عليّ وفتنة الجمل وصفين، وانحراف الخوارج عنه بما أنكروا عليه من التحكيم في الدين. وتمحضت شيعته للاستماتة معه في حرب معاوية مع عليّ، وبويع إبنه الحسن وخرج عن الأمر لمعاوية، فسخط

ذلك شيعة علي منه، وأقاموا يتناجون في السر باستحقاق أهل البيت والميل إليهم، وسخطوا من الحسن ما كان منه، وكتبوا إلي الحسين بالدعاء له فامتنع، وأوعدهم

إلي هلاك معاوية. فساروا إلي محمد بن الحنفية وبايعوه في السر على طلب الخلافة متى أمكنه، وولّى على كل بلد رجلاً، وأقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسته من غربهم، ويقتلع الداء إذا تعّين له منهم، كما فعل بحجر بن عديّ وأصحابه، ويروّض من شماس أهل البيت ويسامحهم في دعوى تقدّمهم واستحقاقهم. ولا يهيّج أحداً منهم بالتثريب عليه في ذلك،إلي أن مات وولّيّ يزيد، وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف، فكانت من أشنع الوقائع في الإِسلام. عظمت بها الشحناء، وتوغّل الشيعة في شأنهم، وعظم النكير والطعن على من تولّى ذلك أو قعد عنه. ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين، وأنهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا ورأوا أن لا كفّارة في ذلك إلا الاستماتة دون ثأره، وسمّوا أنفسهم التوّابين. وخرجوا لذلك يقدمهم سليمان بن صرد الخزاعيّ، ومعه جماعة من خيار أصحاب عليّ. وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشام، وجمع وزرينج قاصد العراق، فزحفوا إليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه كما ذكرنا في خبره، وذلك سنة خمس وستين. ثم خرج المختار بن أبي عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدّمناه في خبره، وفشا التعصّب لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق، واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالأمر من أهل البيت، وبايعت كل طائفة لصاحبها سرّاً ورسخ الملك لبني أُمَيَّة.وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتسرّوا بها، مع تعدّد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم في فصل الإمامة من الكتاب الأوّل. ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء إمام المعتزلة في وقته، وكان واصل متردداً في إصابة علي في حرب صفين والجمل، فنقل ذلك عنه. وكان أخوه محمد الباقر يعذله في الأخذ عمن يرى سخطيّة جدّه، وحصان زيد أيضاً مع قوله بأفضلية عليّ على أصحابه، يرى أن بيعة الشيخين صحيحة، وأن إقامة المفضول جائزة خلاف ما عليه الشيعة. ويرى أنهما لم يظلما عليّاً.ثم دعته الحال إلي الخروج بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة، واجتمع له عامّة الشيعة، ورجع عنه بعضهم لمّا سمعوه يثني على الشيخين، وأنهما لم يظلما عليّاً. وقالوا: لم

يظلمك هؤلاء ورفضوا دعوته فسمّوا الرافضة من أجل ذلك. ثم قاتل يوسف بن عمر

فقتله يوسف وبعث برأسه إلي هشام، وصلب شلوه بالكناسة، ولحق إبنه يحيى بخراسان فأقام بها، ثم دعته شيعته إلي الخروج فخرج هنالك سنة خمس وعشرين، وسرّح إليه نصر بن سيّار العساكر مع سالم بن أحور المازنيّ فقتلوه، وبعث برأسه إلي الوليد وصلب شلوه بالجوزجان، وانقرض شأن الزيدية. وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم، والدعاء لهم في النواحي يدعون على الأحجال للرضا من آل محمد، ولا يصرّحون بمن يدعون له حذراً عليه من أهل الدولة. وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت، وكانوا يرون أنّ الأمر بعد محمد بن الحنفيّذة لإبنه أبي هشام عَبْد الله. وكان كثيراً ما يغدو على سليمان بن عَبْد الملك، فمرّ في بعض أسفاره محمد بن علي بن عَبْد الله بن عبّاس بمنزله بالحميمة من أعمال البلقاء، فنزل عليه وأدركه المرض عنده، فمات وأوصى له بالأمر. وقد كان أعلم شيعته بالعراق وخراسان أنّ الأمر صائر إلي ولده محمد بن عليّ هذا، فلما مات قصدت الشيعة محمد بن عليّ وبايعوه سراً. وبعث الدعاة منهم إلي الآفاق على رأس مائة من الهجرة أيام عمر بن عَبْد العزيز، وأجابه عامّة أهل خراسان. وبعث عليهم النقباء وتداول أمرهم هنالك. وتوفي محمد سنة أربع وعشرين، وعهد لإبنه إبراهيم وأوصى الدعاة بذلك، وكانوا يسمّونه الإمام. ثم بعث أبو مسلم إلي أهل دعوته بخراسان ليقوم فيهم بأمره، فهلك وكتب إليهم بولايته. ثم قبض مروان بن محمد على إبراهيم الإمام وحبسه بخراسان، فهلك هنالك لسنة. وملك أبو مسلم خراسان وزحف إلي العراق، فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل، وغلبوا بني أُمَيَّة على أمرهم وانقرضت دولتهم.

دولة بني العباس

الخبر عن بني العباس من دول الإسلام في هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وإنشاء دولتهم والإلمام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم:

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه، وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية، وهم القائلون بإمامة محمد بن عليّ بن الحنفيّة بعد عليّ، ثم بعده إلي ابنه أبي هشام عَبْد الله. ثم

بعده إلي محمد بن عليّ بن عَبْد الله بن عبّاس بوصيته كما ذكرنا. ثم بعده إلي ابنه إبراهيم الإمام ابن محمد، ثم بعده إلي أخيه أبي العبّاس السفّاح، وهو عَبْد الله بن الحارثية، هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانية، ويسمّون أيضاً الحرماقّية نسبة إلي أبي مسلم لأنه كان يلقب بحرماق. ولبني العبّاس أيضاً شيعة يسمّون الراوندية من أهل خراسان، يزعمون أنّ أحق الناس بالإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم هو العبّاس لأنه وارثه وعاصبه، لقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإنّ الناس منعوه من ذلك وظلموه إلي أن ردّه الله إلي ولده، ويذهبون إلي البراءة من الشيخين وعثمان، ويجيزون بيعة عليّ لأنّ العباس قال له يا ابن أخي هلم ابايعك فلا يختلف عليك إثنان. ولقول داود بن عليّ – عم الخليفة العباسي– على منبر الكوفة يوم بويع السفّاح: يا أهل الكوفة إنه لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عليّ بن أبي طالب، وهذا القائم فيكم، يعني السفّاح.

دولة السفاح

قد تقدّم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبي مسلم، ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق، ثم بيعة السفّاح بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، ثم قتل مروان بن محمد وانقراض الدولة الأموية. ثم خرج بعض أشياعهم وقوّادهم وانتقضوا على أبي العبّاس السفّاح، وكان أوّل من انتقض حبيب بن مرَّة المرَّيّ من قوّاد مروان، وكان بخولان والبلقاء، خاف على نفسه وقومه، فخلع وبيض، ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العبّاسية في ذلك. وتابعته قيس ومن يليهم، والسفّاح يومئذ بالحيرة، بلغه أنّ أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابيّ انتقض بقنَّسرين، وكان من قوّاد مروان، ولما انهزم مروان وقدم عليه عَبْد الله بن عليّ بايعه ودخل في دعوة العبّاسية، وكان ولد مسلمة بن عَبْد الملك مجاورين له ببالس والناعورة، فعبث بهم وبنسائهم القائد الذي جاءهم من قبل عَبْد الله بن عليّ. وشكوا ذلك إلي أبي الورد، فقتل القائد، وخلع معه أهل قَّنسرين، وكاتبوا أهل حمص في الخلاف،

وقدّموا عليهم أبا محمد عَبْد الله بن يزيد بن معاوية، وقالوا هو السفياني الذي بذكر.ولما بلغ ذلك عَبْد الله بن عليّ، وادع حبيب

بن مرّة، وسار إلي أبي الورد بقَّنسرين، ومرّ بدمشق، فخلف بها أبا غانم عَبْد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله، وسار إلي حمص، فبلغه أنّذ أهل دمشق خلعوا وبيّضوا، وقام فيهم بذلك عثمان بن عَبْد الأعلى بن سراقة الأزدي. وأنهم هزموا أبا غانم وعسكره، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانتهبوا ما خلف عندهم، فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفياني وأبي داود، وقدّم أخاه عبد الصمد في عشرة آلاف، فكشف ورجع إلي أخيه عَبْد الله منهزماً، فزحف عبد الله في جماعة القوّاد، ولقيهم بمرج الأحزم وهم في أربعين ألفاً، فانهزموا، وثبت أبو الورد في خمسمائة من قومه، فقتلوا جميعاً.وهرب أبو محمد إلي ترمذ، وراجع أهل قَّنسرين طاعة العبّاسيّة، ورجع عَبْد الله بن علي إلي قتال أهل دمشق ومن معهم. فهرب عثمان بن سراقة، ودخل أهل دمشق في الدعوة، وبايعوا لعبد الله بن عليّ، ولم يزل أبو محمد السفياني بأرض الحجاز متغيباً إلي أيام المنصور، فقتله زياد بن عَبْد الله الحارثي عامل الحجاز يومئذ، وبعث برأسه إلي المنصور مع إبنين له أسيرين فأطلقهما المنصور.ثم خلع أهل الجزيرة وبيّضوا، وكان السفّاح قد بعث إليهم ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كعب من قوّاده، وأنزلهم بحرّان. وكان إسحق بن مسلم العقيلي عامل مروان على أرمينية، فلما بلغته هزيمة مروان سار عنها، واجتمع إليه أهل الجزيرة، وحاصروا موسى بن كعب بحرّان شهرين، فبعث السفّاح أخاه أبا جعفر إليهم، وكان محاصراً لابن هبيرة بواسط، فسار لقتال إسحق بن مسلم، ومرّ بقرقيسيا والرقّة وأهلهما قد خلعوا وبيّضوا. وسار نحو حرّان، فأجفل إسحق بن مسلم عنها، ودخل الرها، وبعث أخاه بكَّضار بن مسلم إلي قبائل ربيعة بنواحي ماردين، ورئيسهم يومئذ برمكة من الحرورية ، فصمد إليهم أبو جعفر فهزمهم وقتل برمكة في المعركة، وانصرف بكّار إلي أخيه إسحق، فخلفه بالرها، وسار إلي شمشاط بمعظم عسكره. وجاء عَبْد الله بن عليّ فحاصره، ثم جاء أبو جعفر فحاصروه سبعة أشهر وهو يقول :لا أخلع البيعة من عنقي حتى أتيقّن موت صاحبها. ثم تيقّن موت مروان، فطلب الأمان، واستأذنوا السفّاح، فأمرهم بتأمينه، وخرج إسحق إلي أبي جعفر فكان من

آثر أصحابه. واستقام أهل الجزيرة والشام، ووّلى السفّاح أخاه أبو جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فلم يزل عليها حتى استخلف.

حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله:

ثم تقدّم لنا هزيمة يزيد بن هبيرة أمام الحسن بن قحطبة وتحصنه بواسط، وكان جويرة وبعض أصحابه أشاروا عليه بعد الهزيمة اللحاق بالكوفة فأبى. وأشار عليه يحيى بن حصين باللحاق بمروان وخوّفه عاقبة الحصار، فأبى خشية على نفسه من مروان واعتصم بواسط. وبعث أبو مسلمة الحسن بن قحطبة في العسكر لحصاره، وعلى ميمنته ابنه داود، فانهزم أهل الشام واضطرّوا إلي دجلة، وغرق منهم كثير. ثم تحاجزوا ودخل ابن هبيرة المدينة، وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك، ومكثوا أياماً لا يقتتلون إلا رمياً. وبلغ ابن هبيرة أن أبا أُمَيَّة الثعلبي قد سوّد فحبسه، فغضبت لذلك ربيعة ومعن بن زائدة، وحبسوا ثلاثة نفر من فزارة رهناً في أبي أُمَيَّة، واعتزل معن وعبد الله بن عَبْد الرحمن بن بشير العجلي فيمن معهما، فخلّى ابن هبيرة سبيل أبي أُمَيَّة وصالحهم وعادوا إلي اتفاقهم.ثم قدم على الحسن بن قحطبة من ناحية سجستان أبو نصر مالك بن الهيثم، فأوقد غيلان بن عَبْد الله الخزاعي على السفّاح يخبره بقدوم أبي نصر، وكان غيلان واجداً على الحسن، فرغب من السفّاح أن يبعث عليهم رجلاً من أهل بيته. فبعث أخاه أبا جعفر، وكتب إلي الحسن: العسكر لك، والقوّاد قوّادك، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً فاحسن طاعته ومؤازرته.وقدم أبو جعفر فأنزله الحسن في خيمته، وجعل على حرسه عثمان بن نهيك. ثم تقدّم مالك بن الهيثم لقتال أهل الشام، وابن هبيرة. فخرجوا لقتاله وأكمنوا معن بن زائدة وأبا يحيى الجرافي. ثم استطردوا لابن الهيثم وانهزموا للخنادق. فخرج عليهم معن وأبو يحيى فقاتلوهم إلي الليل، وتحاجزوا

وأقاموا بعد ذلك أياماً. ثم خرج أهل واسط مع معن ومحمد بن نباتة، فهزمهم أصحاب الحسن إلي دجلة، فتساقطوا فيها. وجاء مالك بن الهيثم فوجد إبنه قتيلاً في المعركة، فحمل على أهل واسط حتى أدخلهم المدينة. وكان مالك يملأ السفن حطباً ويضرمها ناراً فتحرق ما تمر به، فيأمر ابن هبيرة بأن تجر بالكلاليب، ومكثوا كذلك أحد عشر شهراً.وجاء إسمعيل بن عَبْد الله القسري إلي ابن هبيرة بقتل مروان، وفشلت اليمانية عن القتال معهم، وتبعهم الفزاريّة فلم يقاتل معه إلا الصعاليك. وبعث ابن هبيرة إلي محمد بن عَبْد الله بن الحسن المثنّى بأن يبايع له، فأبطأ عنه جوابه، وكاتب السفّاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة، وأطمعهم، فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحرثيان، ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له جهة السفّاح، ولم يفعلا. وتردّد الشعراء بين أبي جعفر وابن هبيرة في الصلح، وأن يكتب له كتاب أمان على ما اختاره ابن هبيرة، وشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه وأنفذه إلي أبي جعفر، فأنفذه إلي السفّاح وأمر بإمضائه، وكان لا يقطع أمراً دون أبي مسلم، فكتب إليه يحيى بن هبيرة قد خرج بعد الأمان إلي أبي جعفر في ألف وثلثمائة، فلقيه الحاجب سلّام بن سليم، فأنزله وأجلسه على وسادة، وأطاف بحجرة أبي جعفر عشرة آلاف من أهل خراسان،ثم أذن لابن هبيرة فدخل على المنصور وحادثه، وخرج عنه ومكث يأتيه يوماً ويغبه يوماً. ثم أغرى أبا جعفر أصحابه بأنه يأتي في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فيهتز له العسكر. فأمر أبو جعفر أن يأتي في حاشيته فقط. فكان يأتي في ثلاثين ثم آخرا في ثلاثة. ثم ألح السفّاح على أبي جعفر في قتله، وهو يراجعه للأمان الذي كتب له، حتى كتب إليه السفّاح: والله لتقتلنه أو لأبعثنّ من يخرجه من حجرتك فيقتله. فبعث أبو جعفر الى وجوه القيسية والمضرية وقد أعد لهم ابن نهيك في مائة من الخراسانية في بعض حجره.وجاء القوم في إثنين وعشرين رجلاً يقدمهم محمد بن نباتة وجويرة بن سهيل، فدعاهم سلام الحاجب رجلين رجلين، وعثمان ابن نهيك يقيدهما إلي أن استكملهم، وبعث أبو جعفر لحازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة في مائة إلي ابن هبيرة، فقالوا: نريد حمل المال، فدلهم حاجبه على الخزائن، فأقاموا عندها الرجال، وأقبلوا نحوه، فقام حاجبه في وجوههم. فضربه

الهيثم فصرعه، وقاتل ابنه داود فقتل في جماعة من مواليه. ثم قتل ابن هبيرة آخراً وحملت رؤوسهم

إلي أبي جعفر. ونادى بالأمان للناس إلا الحكم بن عَبْد الملك أبي بشر، وخالد بن مسلمة المخزومي، وعمر بن در، فهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالداً، فلم يجز السفاح أمانه، وقتله واستأمن زياد بن عبيد الله لابن در فأمنه.

مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير:

قد تقدّم لنا ما كان من أبي مسلمة الخلال في أمر أبى العباس السفّاح، واتهام

الشيعة في أمره، وتغير السفّاح عليه وهو بعكوة أعين ظاهر الكوفة. ثم تحول إلي مدينة الهاشمية ونزل قصرها وهو يتنكر لأبي مسلمة، وكتب إلي أبي مسلم ببغيته وبرأيه فيه، فكتب إليه أبو مسلم بقتله. وقال له داود بن علي :لا تفعل. فيحتج بها أبو مسلم عليك، والذين معك أصحابه وهم له أطوع، ولكن أكتب إليه يبعث من يقتله، ففعل. وبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي فقتله. فلما قدم نادى السفّاح بالرضا عن أبي مسلمة، ودعا به وخلع عليه. ثم دخل عنده ليلة أخرى، فسهر عامة ليله، ثم انصرف إلي منزله، فاعترضه مرار بن أنس وأصحابه فقتلوه، وقالوا قتله الخوارج. وصفى عليه من الغد يحيى أخو السفّاح، وكان يسمى وزير آل محمد، وأبو مسلم أمير آل محمد. وبلغ الخبر إلي أبي مسلم، وسرح سليمان بن كثير بالنكير لذلك فقتله أبو مسلم، وبعث على فارس محمد بن الأشعث وأمره أن يقتل ابن أبي مسلمة ففعل.

عمال السفاح:

ولما استقام الأمر للسفّاح ولى على الكوفة والسواد عمه داود بن علي، ثم عزله

وولاه على الحجاز واليمن واليمامة، وولى مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد. ثم توفي داود سنة ثلاث وثلاثين، فولى مكانه على الحجاز واليمامة خالد بن زياد بن عبيد الله بن عبيد <*> وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عَبْد

... وولى السفّاح على البصرة سفيان بن معاوية المهفبيئ، ثم عزله وولى مكانه عمه سليمان بن علي، وأضاف إليه كور دجلة والبحرين وعمان. وولى عمه إسمعيل بن علي الأهواز، وعمه عَبْد الله بن علي على الشام، وأبا عون عَبْد الملك بن يزيد على مصر، وأبا مسلم على خراسان، وبرمك على ديوان الخراج. وولى عمه عيسى بن علي على فارس، فسبقه إليها محمد بن الأشعث من قبل أبي مسلم. فلما قدم عليه عيسى هم محمد بقتله، وقال: أمرني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره. ثم أقصر عن قتله وأستحلفه بأيمان لا مخارج لها أن لا يعلو منبرأ ما عاش، ولا يتقلد سيفأ إلا في جهاد، فوفى عيسى بذلك بقية عمره.واستعمل بعده على فارس عمه إسمعيل بن علي، واستعمل على الموصل محمد بن صول، فطرده أهلها وقالوا: بل علينا تولى خثعم، وكانوا منحرفين عن بني العباس، فاستعمل السفّاح عليهم أخاه يحيى وبعثه في إثني عشر ألفاً، فنزل قصر الإمارة وقتل منهم إثني عشر رجلاً، فثاروا به وحمل السلاح، فنودي فيهم بالأمان لمن دخل المسجد الجامع، فتسايل الناس عليه، وقد أقام الرجال على أبوابه، فقتلوا كل من دخل. يقال: قتل أحد عشر ألفاً ممن لبث، وما لا يحصى من غيرهم. وسمع صياح النساء بالليل، فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان، واستباحهم ثلاثة أيام.وكان في عسكره أربعة آلاف من الزنوج فعانوا في النساء. وركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف، فاعترضته إمرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له: ألست من بني هاشم؟ ألست ابن عم الرسول؟ أمَّا تعلم أن المؤمنات المسلمات ينكحهن الزنوج؟ فأمسك عنها وجمع الزنج من الغد للعطاء، وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم. وبلغ السفّاح سوء أمره في أهل الموصل فعزله، وولى مكانه إسمعيل، بن علي، وولى يحيى مكان إسمعيل بالأهواز وفارس. وملك الروم ملطية وقالقيلا. وفي سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم فحصر ملطية، والفتن يومئذ بالجزيرة، وعاملها يومئذ موسى بن كعب بن أسان. فلم يزل حاصرهم حتى نزلوا على الأمان، وانتقلوا إلي بلاد الجزيرة، وحملوا ما قدروا عليه. وخرب الروم ملطية، وساروا عنها إلي مرج الحصى، وأرسل قسطنطين العساكر إلي قالقيلا من نواحي ماردين مع قائده كوشان الأرمني، فحصرها

وداخل بعض الأرمن من أهل المدينة فنقبوا له السور، فاقتحم البلد من ذلك النقب وا ستباحها.

الثوار بالنواحي:

كان المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة قد ولاه أبو علي اليمامة، فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليمامة، فبعث إليه زياد بن عبيد المدن بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حيان السلمي، فقتله وقتل أصحابه، وذلك سنة ثلاث وثلاثين. (وفيها) خرج شريك ابن شيخ إسحاراً على أبي مسلم، ونقض أفعاله، واجتمع إليه أكثر من ثلاثين ألفاً، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعى فقاتله وقتله. (وفيها) توجه أبو داود وخالد بن إبراهيم إلي الختل، فتحصن ملكهم ابن السبيل منهما، ومنعه الدهاقين، فحاصره أبو داود حتى جهد الحصار، فخرج من حصنه مع الدهاقين ولحق بفرغانة. ثم سار منها إلي بلد الصين، وأخذ أبوداود من ظفر به في الحصن فبعث بهم إلي أبي مسلم. (وفيها) الفتنة بين أخشيد فرغانة وملك الشاش، واستمد الأخشيد ملك الصين فأمده بمائة ألف مقاتل، وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين، فلم يعرض له ولا لقومه بسوء. وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم، فلقيهم على نهر الطرار، فظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين ألفاً، وأسر نحواً من عشرين ألفاً، ولحق بهم بالصين، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين. ثم انتقض بسام بن إبراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السفّاح وجماعة على رأيه سراً إلي المدائن، فبعث السفّاح في أثرهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم، وبلغ ماه وانصرف، فمر بذات المطامير،ن وبها أخوال السفّاح من بني عَبْد المدان في نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم.وقيل له: إن المغيرة من أصحاب بسام عندهم، فسألهم عنه فقالوا: مر بنا مجتازا، فهددهم إن لم يأخذه، فأغلظوا له في القول فقتلهم أجمعين ، ونهب أموالهم، وهدم دورهم، وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد بن عبيد الله الحرثي على السفّاح وشكوا إليه ما فعل بهم فهم بقتله. وبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح، وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم، وأنهم آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا من خالفكم، فإن كان لا بد من

قتله فابعثه لوجه من الوجوه، فإن قتل هو الذي تريد، وإن ظفر فلك، بعثه إلي الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عمان، مع شيبان بن عَبْد العزيز اليشكري، فبعث معه سبعمائة رجل، فحملهم سليمان بن علي من البصرة في السفن، وقد انضم إليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدة من بني تميم من البصرة، فلما أرسوا بجزيرة ابن كاوان قدم خازم فضلة بن نعيم المنشلي في خمسمائة إلي شيبان، فانهزم هو وأصحابه وكانوا صفرية، وركبوا إلي عمان فقاتلهم الجلندي في الإباضية، فقتل شيبان ومن معه كما مر، وشيبان هذا غير شيبان بن سلمة الذي قتل بخراسان، فربما يشتبهان.ثم ركب خازم البحر إلي ساحل عمان، فنزل وقاتل الجلندي أياماً، أمر خازم أصحابه في آخرها أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة، ويدوروها بالنفط، ويشعلوها بالنيران، ويرموها في بيوت القوم، وكانت من خشب. فلما اضطرمت فيها النار شغلوا بأهليهم وأولادهم عن القتل، فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستلحموهم. وقتل الجلندي وعشرة آلاف، فبعث خازم برؤوسهم إلي البصرة فبعثها سليمان إلي السفاح فندم اهـ،ثم غزا خالد بن إبراهيم أهل كش، فقتل الاخر يد ملكها وهو مطيع واستباحهم،وأخذ من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة، ومن الديباج والسروج ومتاع الصين وظرفه ما لم يرمثله، وحمله إلي أبي مسلم بسمرقند. وقتل عدة من دهاقين كش، ومفك طازان أخا الاخر يد على كش، ورجع أبو مسلم إلي مرو بعد أن فتك في الصغد وبخارى، وأمر ببناء سور سمرقند. واستخلف زياد بن صالح على بخارى وسمرقند، ورجع أبو داود إلي بلخ. ثم بلغ السفّاح انتقاض منصور بن جمهور بالسند، فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب، واستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير.وسار موسى لقتال ابن جمهور، فلقيه بتخوم الهند وهو في نحو إثني عشر ألفاً، فانهزم ومات عطشاً في الرمال. ورحل عامله على السند بعياله وثقلته، فدخل بهم بلاد الخزر. ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر. فسار أبو مسلم إليه من مرو، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصر بن راشد إلي

ترمذ ليمنعها من زياد، فلما وصل إليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه، فبعث مكانه عيسى بن ماهان فسمع قتلة نصر فقتلهم. وسار أبو مسلم فانتهى إلي آمد ومعه سباع بن النعمان الأزدي، وكان السفّاح قد دس معه إلي زياد بن صالح الأزدي أن ينتهز فرصة في أبي مسلم فيقتله. ونمى الخبر إلي أبي مسلم فحبس سباعاً بآمد، وسار عنها وأمر عامله بقتله. ولقيه قواد زياد في طريقه وقد خلعوا زياداً، فدخل أبو مسلم بخارى، ونجا زياد إلي دهقان هناك فقتله وحمل رأسه إلي أبي مسلم. وكتب أبو مسلم إلي أبي داود فقتله، وكان قد شغل بأهل الطالقان، فرجع إلي كش، وبعث عيسى بن ماهان إلي بسام فلم يظفر منها بشيء، وبعث إلي بعض أصحاب أبي مسلم يعيب أبا داود وعيسى، فضربه وحبسه، ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه، ورجع أبو مسلم إلي مرو.

حج أبي جعفر وأبي مسلم:

وفي سنة ست وثلاثين استأذن أبو مسلم السفّاح في القدوم عليه للحج، وكان منذ

ولي خراسان لم يفارقها، فأذن له في القدوم مع خمسمائة من الجند، فكتب إليه أبو مسلم أني قد عاديت الناس ولمست آمن على نفسي فأذن له في ألف، وقال: إن طريق مكة لا تحتمل العسكر، فسار في ثمانية آلاف فرقهم ما بين نيسابور والري، وخلف أمواله وخزائنه بالري وقدم في ألف وخرج القواد بأمر السفاح لتلقيه، فدخل على السفاح وأكرمه وأعظمه. واستأذن في الحج فأذن له، وقال: لولا أن أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم، فأنزله بقرية وكان قد كتب إلي أبي جعفر أن أبا مسلم استأذنني في الحج وأذنت له، وهو يريد ولاية الموسم، فاسألني أنت في الحج، فلا تطمع أن يتقدمك، وأذن له فقدم الأنبار. وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً من حيث بعث السفاح أبا جعفر إلي خراسان ليأخذ البيعة له ولأبي جعفر من بعده، ويولي أبا مسلم على خراسان، فاستخلى أبو مسلم بأبي جعفر. فلما قدم ألان أبو جعفر السفّاح بقتله، وأذن له فيه، ثم ندم وكفه عن ذلك، وسار أبو جعفر إلي الحج ومعه أبو مسلم واستعمل على حران مقاتل بن حكيم العكي.

موت السفاح وبيعة المنصور:

كان أبو العباس قد تحول من الحيرة إلي الأنبار في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين، فأقام بها سنتين ثم توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه، ولأربع سنين وثمانية أشهر من لدن بويع، وصلى عليه عمه عيسى ودفن بالأنبار. وكان وزيره أبو الجهم بن عطية، وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لأخيه أبي جعفر، ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى، وجعل العهد في ثوب وختمه بخواتيمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلي عيسى، ولما توفي السفّاح، وكان أبو جعفر بمكة، فأخذ البيعة على الناس عيسى بن موسى، وكتب إليه بالخبر فجزع واستدعى أبا مسلم وكان متأخراً عنه، فأقرأه الكتاب فبكى واسترجع، وسكن أبا جعفر عن الجزع فقال: أخاف شر عَبْد الله بن عليّ، فقال: ألا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان، وهم أطوع لي منه فسري عنه. وبايع له أبو مسلم والناس، وأقبلا حتى قدما الكوفة. ويقال: إن أبا مسلم كان متقدماً على أبي جعفر، فإن الخبر قد أتاه قبله، فكتب أبو مسلم إليه يعزيه ويهنيه بالخلافة، وبعد يومين كتب له ببيعته. وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين، وسار منها إلي الأنبار، فسلم إليه عيسى بيوت الأموال والدواوين واستقام أمر أبي جعفر.

انتقاض عَبْد الله بن عليّ وهزيمته:

كان عَبْد الله بن عليّ قدم على السفّاح قبل موته، فبعثه إلي الصائفة في جنود أهل الشام وخراسان، فانتهى إلي دلوك ولم يدر حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفّاح، وأخذ البيعة لأبي جعفر وله من بعده كما عهد به السفّاح، فجمع عَبْد الله الناس، وقرأ عليهم الكتاب، وأعلمهم أن السفّاح حين أراد أن يبعث الجنود إلي حران تكاسل بنو أبيه عنها، فقال لهم: من انتدب منكم فهو ولي عهدي فلم ينتدب غيري! وشهد له أبو غانم الطائي وخفاف المروزي وغيرهما من القواد وبايعوه، وفيهم حميد بن حكيم بن قحطبة وغيره من خراسان والشام والجزيرة. ثم سار عَبْد الله حتى نزل حران وحاصر مقاتل بن حكيم العكي أربعين يوماً، وخشي من أهل خراسان

فقتل منهم جماعة، وولى حميد بن قحطبة على حلب، وكتب معه إلي عاملها زفر بن عاصم بقتله، فقرأ الكتاب في طريقه وسار إلي العراق.

وجاء أبو جعفر من الحج،

فبعث أبا مسلم لقتال عَبْد الله، ولحقه حميد بن قحطبة نازعاً عن عَبْد الله، فسار معه، وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي. ولما بلغ عَبْد الله خبر إقباله وهو على حران بذل الأمان لمقاتل بن حكيم ومن معه وملك حران. ثم بعث مقاتلاً بكتابه إلي عثمان بن عَبْد الأعلى، فلما قرأ الكتاب قتله وحبس إبنيه، حتى إذا هزم عَبْد الله قتلهما. وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان أن يأتي عَبْد الله بن علي ليمكر به، فجاء وقال: إني سمعت السفّاح يقول: الخليفة بعدي عمي عَبْد الله، فشعر بمكيدته وقتله، وهو جد إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب.ثم أقبل عَبْد الله بن علي حتى نزل نصيبين وخندق عليه، وقدم أبو مسلم فيمن معه. وكان المنصور قد كتب إلي الحسن بن قحطبة عامله على أرمينية بأن يوافي أبا مسلم، فقدم عليه بالموصل، وسار معه. ونزل أبو مسلم ناحية نصيبين، وكتب إلي عَبْد الله: أني قد وليت الشام ولم أؤمر بقتالك، فقال أهل الشام لعبد الله سر بنا إلي الشام لنمنع نساءنا وأبناءنا. فقال لهم عَبْد الله: ما يريد إلا قتالنا وإنما قصد المكر بنا فأبوا إلا الشام، فارتحل بهم إلي الشام، ونزل أبو مسلم في موضع معسكره، وغور ما حوله من المياه، فوقف أصحاب عَبْد الله بكار بن مسلم العقيلي، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي، وعلى الخيل عَبْد الصمد بن علي أخو عَبْد الله وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة، وعلى ميسرته خازم بن خزيمة، فاقتتلوا شهراً. ثم حمل أصحاب عَبْد الله على عسكر أبي مسلم فأزالوهم عن مواضعهم، وحمل عَبْد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم حمل عليهم ثانية فأزالوا صفهم. ثم نادى منادي أبي مسلم في أهل خراسان فتراجعوا. وكان يجلس إذا لقي الناس على عريش ينظر منه إلي الحومة، فإن رأى خللاً أرسل بسده. فلا تزال رسله تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا. فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين اقتتلوا، وأمر أبو مسلم الحسن بن قحطبة أن يضم إلي الميسرة وينزل في الميمنة حماة أصحابه، فانضم أهل الشام من الميسرة إلي الميمنة كما أمرهم، وأمر أبو مسلم أهل القلب فحطموهم وركبهم أصحاب أبي مسلم.

فانهزم أصحاب عَبْد الله فقال لابن سراقة. ما ترى؟ قال الصبر إلي أن تموت، فالفرار فيكم بمثلك قبيح. قال: بل آتي العراق فأنا معك فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم. وكتب بذلك إلي المنصور، ومضى عَبْد الله وعبد الصمد. فقدم عَبْد الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى، وأمنه المنصور، وقيل بل أقام بالرصافة حتى قدمها جمهور بن مروان العجلي في خيول أرسلها المنصور، فبعث به موثقاً مع أبي الخطيب، فأطلقه المنصور. وأمَّا عَبْد الله فقدم البصرة، وأقام عند أخيه سليمان متوارياً حتى طلبه واشخص إليه. ثم إن أبا مسلم أمن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكف عنهم <*>،

ذكر قتل أبي مسلم الخراساني

كان أبو مسلم لمّا حج مع المنصور يؤيد نفسه عليه، ويتقدم بالإحسان للوفود وإصلاح الطريق والمياه، وكان الذكر له، وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه. ولما صدروا عن الموسم، تقدم أبو مسلم، ولقيه الخبر بوفاة السفاح، فبعث إلي أبي جعفر يعزيه، ولم يهنئه بالخلافة، ولا رجع إليه ولا أقام ينتظره. فغضب أبو جعفر وكتب إليه وأغلظ في العتاب، فكتب يهنئه بالخلافة ويقدم إلي <*>، فدعا عيسى بن موسى إلي أن يبايع له، فأبى وقدم أبو جعفر، وقد خلع عبيد الله بن علي، فسرح أبا مسلم لقتاله، فهزمه كما مر، وجمع الغنايم من عسكره. فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب لجمعها، فغضب أبو مسلم ونال: أنا أعين على الدعاء فكيف أخون الأموال؟ وهم

بقتل الخصيب ثم خلى عنه.وخشي المنصور أن يمضي إلي خراسان، فكتب إليه بولاية مصر والشام، فازداد نفاراً وخرج من الجزيرة يريد خراسان، وسار المنصور إلي المدائن، وكتب إليه يستقدمه، فأجابه بالامتناع والمسك بالطاعة عن بعد، والتهديد بالخلع إن طلب منه لسوى ذلك، فكتب إليه المنصور ينكر عليه هذا الشرط، وأنه لا يحسن طاعة. وبعث إليه عيسى بن موسى برسالة يؤنسه ويسليه. وقيل: بل كتب إليه أبو مسلم يعرض له بالخلع، وأنه قد تاب إلي الله مما جناه من القيام بدعوتهم، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان، وأمر المنصور عمه عيسى ومشيخة بني هاشم بالكتاب على أبي مسلم يحرضونه على التمسك بالطاعة، ويحذرونه عاقبة البغي، ويأمرونه بالمراجعة. وبعث الكتب مع مولاه أبي حميد المرودوذي ، وأمره بملاينته والخضوع له بالقول حتى ييأس منه، فإذا يئس يخبره بقسم أمير المؤمنين لأوكلت أمرك إلي غيري، ولو خضت البحر خضته وراءك، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك وأموت. فأوصل أبو حميد الكتب وتلطف له في القول ما شاء، واحتج عليه بما كان منه في التحريض على طاعتهم، فاستشار أبو مسلم مالك بن الهيثم فأبى له من الإصغاء إلي هذا القول وقال: والله لئن أتيته ليقتلنك. ثم بعث إلي نيزك صاحب الري يستشيره، فأبى له من ذلك، وأشار عليه بنزول الري وخراسان من ورائه، فيكون أمكن لسلطانه. فأجاب أبا حميد بالامتناع، فلما يئس منه أبلغه مقالة المنصور، فوجم طويلاً ورعب من ذلك القول وأكبره. وكان المنصور قد كتب إلي عامل أبي مسلم بخراسان يرغبه في الإنحراف عنه بولاية خراسان فأجاب سراً، وكتب إلي أبي مسلم يحذره الخلاف والمعصية، فزاده ذلك رعباً وقال لأبي حميد قبل انصرافه: قد كنت عزمت على المضي إلي خراسان، ثم رأيت أن أوجه أبا إسحق إلي أمير المؤمنين يأتيني برايته فإني أثق به. ولما قدم أبو إسحق تلقاه بنو هاشم وأهل الدولة بكل ما يجب، وداخله المنصور في صرف أبي مسلم عن وجهة خراسان ووعده بولايتها، فرجع إليه وأشار عليه بلقاء المنصور، فاعتزم على ذلك. واستخلف مالك بن الهيثم على عسكره بحلوان، وسار فقدم المدائن في ثلاثة آلاف، وخشي أبو أيوب وزير المنصور أن يحدث منه عند قدومه فتك، فدعا بعض إخوانه، وأشار عليه بأن

يأتي أبا مسلم ويتوسل به إلي المنصور في ولاية كسكر ليعيب فيها مالاً عظيماً. وأن يشرك أخاه في ذلك، فإن أمير المؤمنين عازم أن يوليه ما يوري به ويريح نفسه. واستأذن له المنصور في لقاء أبي مسلم فأذن

له، فلقي أبا مسلم وتوسل إليه وأخبره الخبر، فطابت نفسه وذهب عنه الحزن. ولما قرب أمر الناس بتلقيه، ثم دخل على المنصور فقبل يده وانصرف ليريح ليلته، ودعا المنصور من الغد حاجبه عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس، منهم شبيب بن رواح، وابن حنفية حرب بن قيس، وأجلسهم خلف الرواق، وأمرهم بقتل أبي مسلم إذا صفق بيديه. واستدعى أبا مسلم، فلما دخل سأله عن سيفين أصابهما لعمه عَبْد الله بن علي، وكان متقلداً بأحدهما، فقال: هذا أحدهما ! فقال: أرني ! فانتضاه أبو مسلم وناوله إياه، فأخذ يقلبه بيده ويهزه. ثم وضعه تحت فراشه، وأقبل يعاتبه، فقال: كتبت إلي السفاح تنهاه عن الموات كأنك تعلمه: قال: ظننت أنه لا يحل، ثم اقتديت بكتاب السفاح وعلمت أنكم معدن العلم. قال: فتوركك عني بطريق مكة! قال كرهت مزاحمتك على الماء! قال فامتناعك من الرجوع إلي حين بلغك موت السفّاح أو الإقامة حتى ألحقك! قال: طلبت الرفق بالناس والمبادرة إلي الكوفة! قال فجارية عَبْد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك! قال :لا إنما وكلت بها من يحفظها. قال: فمراغمتك ومسيرك إلي خراسان! قال: خشيت منك، فقلت آتي خراساني وأكتب بعذري فأذهب ما في نفسك مني! قال: فالمال الذي جمعه بحران! قال: أنفقته في الجندية تقوية لكم. قال ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك وتخطب آسية بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عَبْد الله بن عباس؟ لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعباً. ثم قال له: وما الذي دعاك إلي قتل سليمان بن كثير، مع أثره في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا، من قبل أن ندخلك في هذا الأمر؟ قال: أراد الخلافة فقتلته. ثم قال أبو مسلم: كيف يقال هذا بعد بلائي وما كان مني؟ قال: يا ابن الخبيثة لو كانت أمة مكانك لأغنت، إنما ذلك بدولتنا وربحنا. وأكب أبو مسلم يقبل يده ويعتذر، فازداد المنصور غضباً. ثم قال أبو مسلم دع هذا! فقد أصبحت لا أخاف إلا الله. فشتمه المنصور وصفق بيديه، فخرج الحرس. وضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه. فقال: استبقني لعدوك! فقال: لا أبقاني الله إذاً وأي عدو أعدى منك، وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين. وخرج الوزير أبو الجهم فصرف الناس، وقال: الأمير قائل عند أمير المؤمنين فانصرفوا، وأمر لهم

بالجوائز، وأعطى إسحاق مائة ألف. ودخل عيسى بن موسى على المنصور فسأل عنه، وأخذ في الثناء على طاعته وبلائه، وذكر رأي الإمام إبراهيم فيه.

فقال المنصور: والله ما أعلم على وجه الأرض عدواً أعدى لكم منه، هو ذا في البساط. فاسترجع عيسى، فأنكر عليه المنصور وقال: وهل كان لكم ملك معه؟ ثم دعا جعفر بن حنظلة واستشاره في أمر أبي مسلم، فأشار بقتله فقال له المنصور وفقك الله! ثم نظر إليه قتيلاً، فقال له يا أمير المؤمنين عد خلافتك من هذا اليوم. ثم دعا أبا إسحق عن متابعة أبي مسلم، وقال تكلم بما أردت، وأخرجه قتيلاً فسجد أبو إسحق ثم رفع رأسه يقول: الحمد لله! أميت هو؟ ولله ما جئته قط إلا تكفنت وتحنطت ورفع ثيابه وأراه كفنه وحنوطه. فرحمه وقال له استقبل طاعتك، واحمد الله الذي أراحك. وكتب المنصور بعد قتل أبي مسلم إلي أبي نصر بن الهيثم على لسان أبي مسلم يأمره بحمل أثقاله، وقد كان أبو مسلم أوصاه إن جاءك كتاب بخاتمي تاماً فاعلم أني لم أكتبه، فلما رآه كذلك فطن وانحدر إلي همذان يريد خراسان، فكتب له المنصور بولاية شهرزور، وكتب إلي زهير بن التركي بهمذان بحبسه. فمر أبو نصر بهمذان وخادعه زهير ودعاه إلي طعامه وحبسه. وجاء كتاب العهد بشهرزور لأبي نصر، فأطلقه زهير، ثم جاءه بعد ذلك الكتاب بقتله، فقال جاءني كتاب عهده فخفيت سبيله. وقدم أبو نصر على المنصور فعذله في إشارته على أبي مسلم بخراسان، فقال: نعم استنصحني فنصحت له. وإن استنصحني أمير المؤمنين نصحت وشكرت، واستعمله على الموصل. وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبي مسلم وانسهم وافترق أصحابه، وخرج منهم بخراسان رجل إسمه سنباد ويسمى فيروز أصبهبذ، وتبعه أكثر الجبال يطلبون بدم أبى مسلم، وغلب على نيسابور والري، وأخذ الخزائن أبي مسلم التي خلفها بالري حين شخص إلي السفاح. وسبى الحرم ونهب الأموال، ولم يعرض إلي التجار. وكان يظهر أنه قاصد إلي الكعبة يهدمها، فسرح إليه المنصور جمهور بن مرار العجلي والتقوا على طرق المفازة بين همذان والري، فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحواً من ستين ألفاً، وسبى ذراريهم ونساءهم. ولحق سنباد بطبرستان، فقتله بعض عمال صاحبها وأخذ ما معه. وكتب إلي المنصور بذلك، فكتب إليه المنصور في الأموال فأنكر، فسرح إليه الجنود فهرب إلي الديلم. ثم إن جمهور بن مرار لمّا حوى ما في عسكر سنباد، ولم يبعث به خاف من

المنصور، فخلع واعتصم بالري فسرح إليه محمد بن الأشعث في الجيوش، فخرج من الري إلي أصبهان فملكها، وملك حمد الري. ثم اقتتلوا وانهزم جمهور فلحق بأذربيجان، وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه إلي المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين.

حبس عَبْد الله بن علي:

كان عَبْد الله بن علي بعد هزيمته أمام أبي مسلم لحق بالبصرة، ونزل على أخيه سليمان. ثم إن المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين، فاختفى عَبْد الله وأصحابه، فكتب المنصور إلي سليمان وأخيه عيسى بأمان عَبْد الله وقواده ومواليه، وأشخاصهم إلي المنصور منهما فشخصوا. ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عَبْد الله، واستأذناه له فشغلهما بالحديث، وأمر بحبسه في مكان قد هيئ له في القصر، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجد عَبْد الله، فعلما أنه قد حبس وأن ذمتهما قد أخفرت، فرجعا إلي المنصور فحبسا عنه. وتوزع أصحاب عَبْد الله بين الحبس والقتل، وبعث ببعضهم إلي أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها. ولم يزل عَبْد الله محبوساً حتى عهد المنصور إلي المهدي سنة تسع وأربعين، وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدي، ودفع إليه عَبْد الله، وأمره بقتله، وخرج حاجاً. وسار عيسى كاتبه يونس بن فروة في قتل عَبْد الله بن علي فقال :لا تفعل فإنه يقتلك به، وإن طلبه منك فلا ترده إليه سراً، فلما قفل المنصور من الحج دس على أعمامه من يحرضهم على الشفاعة في أخيهم عَبْد الله فشفعهم، وقال لعيسى: جئنا به! فقال: قتلته كما أمرتني. فأنكر المنصور وقال خذوه بأخيكم، فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الأمر، فجاء به وقال: هو ذا حي سوي، فجعله المنصور في بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات.

وقعة الراوندية:

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان، ومن أتباع أبي مسلم، يقولون بالتناسخ والحلول، وأن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن الله حل في المنصور وجبريل في الهيثم بن معاوية. فحبس المنصور نحواً من مائتين منهم، فغضب الباقون، واجتمعوا وحملوا بينهم نعشاً كأنهم في جنازة، وجاؤا إلي السجن، فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم، وحملوا على الناس في ستمائة رجل. وقصدوا قصر المنصور، وخرج المنصور من القصر ماشيا. وجاء معن بن زائدة الشيباني وكان مستخفياً من المنصور لقتاله مع ابن

هبيرة، وقد اشتد طلب المنصور له، فحضر عنده هذا اليوم فتلثما، وترجل وأبلى. ثم جاء إلي المنصور ولجام بغلته في يد الربيع حاجبه، وقال: تنح ذا أنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت

وأعظم، فنازل وقاتل حتى ظفر بالراوندية. ثم سأله فانتسب فأمنه واصطنعه.

وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم ووقف على باب المنصور وقال: أنا اليوم بواب ثم قاتلهم أهل السوق، وفتح باب المدينة، ودخل الناس وحمل عليهم خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة حتى قتلوهم عن آخرهم. وأصاب عثمان بن نهيك في الحومة سهم فمات منه بعد أيام، وجعل على الحبس بعده أخاه عيسى، ثم بعده أبا العباس الطوسي، وذلك كله بالهاشمية. ثم أحضر معناً ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه في ذلك اليوم مع عمه عيسى، فقال معن: والله يا أمير المؤمنين لقد جئت إلي الحكومة وجلا حتى رأيت شذتك، فحملني ذلك على ما رأيت مني، وقيل: إنه كان مختفياً عند أبي الخصيب حاجب المنصور، وأنه جاء يوم الراوندية، فاستأذن أبو الخصيب وشاوره المنصور، فأشار ببث المال في الناس، وأبى المنصور إلا الركوب إليهم بنفسه، فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا. ثم تغيب فاستدناه وأمنه وولاه على اليمن.

انتقاض خراسان ومسير المهدي إليها:

كان السفاح قد ولى على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم الذهلي، بعد انتقاض بسام بن إبراهيم ومهلكه. فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بكشماهن وجاؤا إلي منزله، فأشرف عليهم ليلاً من السطح، فزلت قدمه فسقط ومات ليومه. وكان عصام صاحب شرطته، فقام بالأمر بعده. ثم ولى المنصور على خراسان عَبْد الجبار بن عَبْد الرحمن، فقدم علها وحبس جماعة من القواد. اتهمهم بالدعاء للعلوية، منهم مجاشع بن حريث الأنصاري عامل بخارى، وأبو المعرة خالد بن كثير مولى بني تميم عامل قهستان، والحريش بن محمد الذهلي ابن عم أبي داود في آخرين. ثم قتل هؤلاء وألح على عمال أبي داود في استخراج المال، وانتهت الشكوى إلي المنصور بذلك، فقال لأبي أيوب: إنما يريد بفناء شيعتنا الخلع، فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لغزو الروم، فإذا فارقوه بعثت إليه من شئت، واستمكن منه. فكتب إليه بذلك فأجاب بأن الترك قد جاشت، وإن فرقت الجنود خشيت على خراسان. فقال له أبو أيوب: اكتب إليه بأنك

ممده بالجيوش، وابعث معها من شئت يستمكن منه، فأجاب عَبْد الجبار بأن خراسان مغلبة في عامها، ولا تحتمل زيادة العسكر. فقال له أبو يوسف هذا خلع فعاجله. فبعث إبنه المهدي، فسار ونزل الري.

وقدم خازم بن خزيمة

لحرب عَبْد الجبار، فقاتلوه فانهزم وجاء إلي مقطنة وتوارى فيها. فعبر أبى المحشد بن مزاحم من أهل مرو الروذ، وجاء به إلي خازم، فحمله على بعير وعليه جبة صوف، ووجهه إلي عجز البعير، وحمله إلي المنصور في ولده وأصحابه. فبسط إليهم العذاب حتى استخرج الأموال، ثم قطع يديه ورجليه وقتله. وذلك سنة اثنتين وأربعين، وبعث بولده إلي دهلك فعزلهم بها، وأقام المهدي بخراسان، حتى رجع إلي العراق سنة تسع وأربعين . وفي سنة اثنتين وأربعين انتقض عيينة بن موسى بن كعب بالسند، وكان عاملاً عليها من بعد أبيه، وكان أبوه يستخلف المسيب بن زهير على الشرط، فخشي المسيب إن حضر عيينة عند المنصور أن يوليه على الشرط، فحذره المنصور وحرضه على الخلاف فخلع الطاعة. وسار المنصور إلي البصرة وسرح من هنالك عمر بن حفص بن أبي صفوة العتكي لحرب عيينة، وولاه على السند والهند، فورد السند وغلب عليها. وفي هذه السنة انتقض الأصبهبذ بطبرستان، وقتل من كان في أرضه من المسلمين، فبعث المنصور مولاه أبا الخطيب، وخازم بن خزيمة، وروح بن حاتم في العساكر فحاصروه في حصنه مدة، ثم تحيلوا ففتح لهم الحصن من داخله، وقتلوا المقاتلة، وسبى الذرية، وكان مع الأصبهبذ كبد سم فشربه ومات.

أمر بني العباس:

بنو هاشم حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا إليه، وتشاوروا فيمن يعقدون

له الخلافة، فاتفقوا على محمد بن عَبْد الله بن الحسن المثنى بن علي، وكان يقال: إن المنصور ممن بايعه تلك الليلة. ولما حج أيام أخيه السفاح سنة ست وثلاثين تغيب عنه محمد وأخوه إبراهيم، ولم يحضرا عنده مع بني هاشم. وسأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله الحرثي أنا آتيك بهما، وكان بمكة، فرده المنصور إلي المدينة. ثم استخلف المنصور وطفق يسأل عن محمد ويختص بني هاشم بالسؤال سراً، فكلهم يقول: إنك ظهرت على طلبه لهذا الأمر، فخافك على نفسه، ويحسن العذر عنه إلا الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، فإنه قال له: والله ما آمن وثوبه عليك، فإنه لا ينام عنك، لكان موسى بن عَبْد الله بن حسن يقول بعد هذا: اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا. ثم إن المنصور حج سنة ، وألح على عَبْد الله بن حسن في إحضار ابنه محمد، فاستشار عَبْد الله سليمان بن علي في إحضاره فقال له: لو كان عافياً عفى عن عمه! فاستمر عَبْد الله على الكتمان، وبث المنصور العيون بين الأعراب في طلبه بسائر بوادي الحجاز ومياهها. ثم كتب كتاباً على لسان الشيعة إلي محمد بالطاعة والمسارعة، وبعثه مع بعض عيونه إلي عَبْد الله، وبعث معه بالمال والألطاف كأنه من عندهم. وكان للمنصور كاتب على سره يتشيع، فكتب إلي عَبْد الله بن حسن بالخبر، وكان محمد بجهينة، وألح عليه صاحب الكتاب أمر محمد ليدفع إليه كتاب الشيعة. فقال له: اذهب إلي علي بن الحسن المدعو بالأغر يوصلك إليه في جبل جهينة، فذهب وأوصله إليه. ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور، وبعثوا أبا هبار إلي محمد وعلي بن حسن يحذرهما الرجل، فجاء أبو هبار إلي علي بن حسن وأخبره، ثم سار إلي محمد، فوجد العين عنده جالساً مع أصحابه، فخلا به وأخبره، فقال: وما الرأي؟ قال: تقتله. قال لا أقارف دم مسلم. قال: تقيده وتحمله معك. قال :لا آمن عليه لكثرة الخوف والإعجال. قال: فتودعه عند بعض أهلك من جهينة. قال: هذه إذن. ورجع فلم يجد الرجل، ولحق بالمدينة. ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر، وسمى إسم أبي هبار وكنيته، وقال: معه وبر. فطلب أبو جعفر وبراً المري، فسأله عن أمر محمد فأنكره، وحلف فضربه وحبسه. ثم دعا عقبة بن سالم الأزدي، وبعثه منكراً بكتاب والطاف من بعض الشيعة بخراسان، إلي

عَبْد الله بن حسن ليظهر على أمره، فجاءه بالكتاب فانتهره، وقال :لا أعرف هؤلاء القوم. فلم يزل يتردّد إليه حتى قبله وأنس به، وسأله عقبة الجواب فقال :لا أكتب لأحد، ولكن أقرئهم مني سلاماً، وأعلمهم أن إبني خارجان لوقت كذا. فرجع عقبة إلي المنصور فأنشأ الحج، فلما لقيه بنو حسن رفع مجالسهم وعبد الله إلي جنبه، ثم دعا بالغداء فأصابوا منه. ثم قال لعبد الله بن حسن قد أعطيتني العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطاناً، فقال: وأنا على ذلك. فلحظ المنصور عقبة بن سالم، فوقف بين عَبْد الله حتى ملأ عينه منه فبادر المنصور يسأله الإقالة فلم يفعل، وأمر حبسه. وكان محمد يتردّد في النواحي، وجاء إلي البصرة فنزل في بني راهب، وقيل في بني مرّة بن عبيد، وبلغ الخبر إلي المنصور، فجاء إلي البصرة، وقد خرج عنها محمد، فلقي المنصور عمر بن عبيد، فقال له: يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا؟ فقال: لا، فانصرف واشتد الخوف على محمد وإبراهيم، وسار إلي عدن، ثم إلي السند، ثم إلي الكوفة، ثم إلي المدينة. وكان المنصور حج سنة أربعين، وحج محمد وإبراهيم وعزما على اغتيال المنصور وأبى محمد من ذلك. ثم طلب المنصور عَبْد الله بإحضار ولديه، وعنفه وهم به، فضمنه زياد عامل المدينة. وانصرف المنصور، وقدم محمد المدينة قدمة، فتلطف له زياد وأعطاه الأمان له. ثم قال له: إلحق بأي بلاد شئت. وسمع المنصور فبعث أبا الأزهر إلي المدينة في جمادى سنة إحدى وأربعين ليستعمل على المدينة عَبْد العزيز بن المطلب، ويقضى زياداً وأصحابه. فسار بهم فحبسهم المنصور، وخلف زياد ببيت المال ثمانين ألف دينار. ثم استعمل على المدينة محمد بن خالد بن عَبْد الله القسري، وأمره بطلب محمد، وإنفاق المال في ذلك. فكثرت نفقته واستبطأه المنصور واستشار في عزله، فأشار عليه يزيد بن أسيد السلمي من أصحابه باستعمال رباح بن عثمان بن حسان المزني، فبعثه أميراً على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين، وأطلق يده في محمد بن خالد القسريّ. فقدم المدينة وتهدّد عَبْد الله بن حسن في إحضار إبنيه. وقال له عَبْد الله يومئذ: إنك لتريق المذبوح فيها كما تذبح الشاة، فاستشعر ذلك ووجد، فقال له حاجبه أبو البختري: إن هذا ما اطلع على الغيب. فقال ويلك!

والله ما قال إلا ما سمع، فكان كذلك. ثم حبس رباح محمد بن خالد وضربه وجد في طلب محمد، فاخبر أنه في شعبان رضوى من أعمال ينبع وهو جبل جهينة، فبعث عامله في طلب فأفلت منه. ثم إنّ رباح بن مرّة حبس بني

حبس وقيدهم وهم :عَبْد الله بن حسن بن الحسن، وإخوته حسن وإبراهيم وجعفر، وإبنه موسى بن عَبْد الله، وبنو أخيه داود وإسمعيل وإسحق بنو إبراهيم بن الحسن، ولم يحضر معهم أخوه عليّ العائد. ثم حفر من الغد عند رباح، وقال: جئتك لتحبسني مع قومي فحبسه، وكتب إليه المنصور أن يحبس معهم محمد بن عَبْد الله بن عمر بن عثمان المعروف بالديباجة. وكان أخا عَبْد الله لأمه، أمهما فاطمة بنت الحسين. وكان عامل مصر قد عثر على عليّ بن محمد بن عَبْد الله بن حسن، بعثه أبوه إلي مصر يدعو له، فأخذه وبعث به إلي المنصور، فلم يزل في حبسه. وسمى من أصحاب أبيه عَبْد الرحمن بن أبي المولى وأبا جبير، فضربهما المنصور وحبسهما. وقيل عَبْد الله حبس أولاً وحده، وطال حبسه. فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم ثم حج المنصور سنة أربع وأربعين، فلما قدم مكة بعث إليهم وهم في السجن محمد بن عمران بن إبراهيم بن طلحة ومال بن أنس يسألهم أن يرفعوا إليه محمداً وإبراهيم ابني عَبْد الله، فطلب عَبْد الله الإذن في لقائه، فقال المنصور لا والله حتى يأتيني به وبإبنيه، وكان حسناً مقبولاً لا يكلم أحداً إلا أجابه إلي رأيه. ثم إنّ المنصور قضى حجه وخرج إلي الربذة، وجاء رباح ليودعه فأمر بأشخاص بني حسن ومن معهم إلي العراق، فأخرجهم في القيود والأغلال، وأردفهم في محامل بغير وطء، وجعفر الصادق يعاينهم من وراء ستر ويبكي. وجاء محمد وإبراهيم مع أبيهما عَبْد الله يسايرانه مستترين بزي الأعراب ويستأذنانه في الخروج فيقول :لا تعجلا حتى يمكنكما، وإنا منعتما أن تعيشا كريمين فلا تمنعا أن تموتا كريمين، وانتهوا إلي الزيدية. وأحضر العثماني الديقا عند المنصور فضربه مائة وخمسين سوط بعد ملاحاة جرت بينهما أغضبت المنصور. ويقال: إن رباحاً أغرى المنصور به، وقال له: إن أهل الشام شيعته ولا يتخلف عنه منهم أحد. ثم كتب أبو عون عامل خراسان إلي المنصور، بأن أهل خراسان منتظرون أمر محمد بن عَبْد الله واحذر منهم. فأمر المنصور بقتل العثماني، وبعث برأسه إلي خراسان، وبعث من يحلف أنه رأس محمد بن عَبْد الله، وأن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قدم المنصور بهم الكوفة، وحبسهم بقصر ابن هبيرة. يقال إنه قتل محمد بن إبراهيم بن حسن منهم

على إسطوانة وهو حي فمات، ثم بعده عَبْد الله بن حسن ثم علي بن حسن، ويقال: إن المنصور أمر بهم فقتلوا، ولم ينج منهم إلا سليمان وعبد الله إبنا داود، وإسحق وإسمعيل إبنا إبراهيم بن حسن، وجعفر بن حسن والله أعلم.

ظهور محمد المهدي ومقتله:

ولما سار المنصور إلي العراق، وحمل معه بني حسن، رجع رباح إلي المدينة وألح في طلب محمد وهو مختف يتنقل في اختفائه من مكان إلي مكان، وقد أرهقه الطلب حتى تدلى في بئر. فتدلى فغمس في مائها، وحتى سقط ابنه من جبل فتقطع، ودل عليه رباح بالمداد، فركب في طلبه فاختفى عنه ولم يره. ولما اشتد عليه الطلب، أجمع الخروج وأغراه أصحابه بذلك. وجاء الخبر إلي رباح بأنه الليلة خارج، فأحضر العباس بن عَبْد الله بن الحرث بن العباس، ومحمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد قاضي المدينة وغيرهما، وقال لهم: أمير المؤمنين يطلب محمداً شرق الأرض وغربها، وهو بين أظهركم. والله لئن خرج ليقتلنكم أجمعين. وأمر القاضي بإحضار عشيرة بني زهرة فجاؤا في جمع كثير، وأجلسهم بالباب. ثم أحضر نفراً من العلويين فيهم جعفر بن محمد بن الحسين وحسين بن عليّ بن حسين بن عليّ، ورجال من قُرَيْش، فيهم إسمعيل بن أيوب بن سلمة بن عَبْد الله بن الوليد بن المغيرة، وإبنه خالد، وبينما هم عنده إذ سمعوا التكبير، وقيل قد خرج محمد فقال له ، ابن مسلم بن عقبة: أطعني واضرب أعناق هؤلاء فأبى، وأقبل من المداد في مائة وخمسين رجلاً، وقصد السجن، فأخرج محمد بن خالد بن عَبْد الله القسريّ، وابن أخيه النذير بن يزيد ومن كان معهم، وجعل على الرجالة خوات بن جبير، وأتى دار الإمارة وهو ينادي بالكف عن القتل. فدخلوا من باب المقصورة وقبضوا على رباح وأخيه عباس وابن مسلم بن عقبة فحبسهم، ثم خرج إلي المسجد وخطب الناس، وذكر المنصور بما نقمه عليه، ووعد الناس واستنصر بهم. واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عَبْد العزيز بن المطلب بن عَبْد الله المخزوميّ، وعلى بيت السلاح عَبْد العزيز الدراوردي، وعلى الشرط أبا الغلمش عثمان بن عبيد الله بن عَبْد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عَبْد الله بن جعفر بن عَبْد الرحمن بن المسور بن مخرمة، وأرسل إلي محمد بن عَبْد العزيز يلومه على القعود عنه، فوعده بالبصرة، وسار

إلي مكة، ولم يتخلف عن محمد من وجوه الناس إلا نفر قليل: منهم: الضحاك بن عثمان بن عَبْد الله بن خالد بن حرام، وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عَبْد الله بن خالد، وأبو سلمة بن عبيد الله بن عَبْد الله بن عمر، وحبيب بن ثابت بن عَبْد الله بن الزبير، واستفتى أهل المدينة مالكاً في الخروج مع محمد وقالوا: في أعناقنا بيعة المنصور، فقال: إنما بايعتم مكرهين. فتسارع الناس إلي محمد، ولزم مالك بيته، وأرسل محمد إلي إسمعيل بن عَبْد الله بن جعفر يدعوه إلي بيعته، وكان شيخاً كبيراً فقال: أنت والله وابن أخي مقتول فكيف أبايعك؟ فرجع الناس عنه قليلاً، وأسرع بنو معاوية بن عَبْد الله بن جعفر إلي محمد، فجاءت جمادة أختهم إلي عمها إسمعيل وقالت: يا عم إن مقالتك ثبطت الناس عن محمد وأخوتي معه، فأخشى أن يقتلوا فردها. فيقال: إنها عدت عليه فقتلته، ثم حبس محمد بن خالد القسريّ بعد أن أطلقه واتهمه بالكتاب إلي المنصور، فلم يزل في حبسه. ولما استوى أمر محمد، ركب رجل من آل اويس بن أبي سرح إسمه الحسين بن صخر، وجاء إلي المنصور في تسع فخبره الخبر، فقال: أنت رأيته؟ قال: نعم، وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم تتابع الخبر، وأشفق المنصور من أمره، واستشار أهل بيته ودولته. وبعث إلي عمه عَبْد الله وهو محبوس يستشيره، فأشار عليه بأن يقصد الكوفه، فإنهم شيعة لأهل البيت، فيملك عليهم أمرهم، ويحفها بالمسالح حتى يعرف الداخل والخارج، ويستدعي سالم بن قتيبة من الري فيتحد معه كافة أهل الشام ويبعثه، وأن يبعث العطاء في الناس. فخرج المنصور إلي الكوفة، ومعه عبد الله بن الربيع بن عَبْد الله بن عَبْد المدان. ولما قدم الكوفة أرسل إلي يزيد بن يحيى وكان السفاح يشاوره، فأشار عليه بأن يشحن الأهواز بالجنود، وأشار عليه جعفر بن حنظلة الهرّاني بأن يبث الجند إلي البصرة. فلما ظهر إبراهيم بتلك الناحية تبيّن وجه إشارتهما. وقال المنصور لجعفر: كيف خفت البصرة؟ قال: لأن أهل المدينة ليسوا أهل حرب حبسهم أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء الطالبيين، ولم

يبق إلا البصرة. ثم إن المنصور كتب إلي محمد المهديّ كتاب أمان، فأجابه عنه بالردّ والتعريض بأمور في الأنساب والأحوال، فأجابه المنصور عن كتابه بمثل ذلك، وانتصف كل واحد منهما لنفسه بما ينبغي الإعراض عنه، مع أنهما صحيحان مرويان نقلهما الطبري في كتاب الكامل، فمن أراد الوقوف فليلتمسها في أماكنها. ثم إنّ محمداً المهديّ استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عَبْد الله بن جعفر، وعلى اليمن القاسم بن إسحق، وعلى الشام موسى بن عَبْد الله. فسار محمد بن الحسن إلي مكة، والقاسم معه، ولقيهما السريّذ بن عَبْد الله عامل مكة ببطن أذاخر، فانهزم. وملك محمد مكة، حتى استنفره المهديّ لقتال عيسى بن موسى، فنفر هو والقاسم بن عبيد الله، وبلغهما قتل محمد بنواحي قديد، فلحق محمد بإبراهيم، فكان معه بالبصرة. واختفى القاسم بالمدينة، حتى أخذت له الأمان إمرأة عيسى، وهي بنت عَبْد الله بن محمد بن عليّ بن عَبْد الله بن جعفر. وأمَّا موسى بن عَبْد الله فسار إلي الشام فلم يقبلوا منه، فرجع إلي المدينة. ثم لحق بالبصرة مختفياً، وعثر عليه محمد بن سليمان بن عليّ، وعلى إبنه عَبْد الله، وبعث بهما إلي المنصور، فضربهما وحبسهما. ثم بعث المنصور عيسى بن موسى إلي المدينة لقتال محمد فسار في الجنود ومعه محمد بن أبي العباس بن السفّاح، وكثيّر بن حصين العبديّ وحميد بن قحطبة وهو زمرّد وغيرهم، فقال له: إن ظفرت فأغمد سيفك وابذل الأمان، وإن تغيب فخذ أهل المدينة فإنهم يعرفون مذاهبه، ومن لقيك من آل أبي طالب فعرفني به، ومن لم يلقك فاقبض ماله. وكان جعفر الصادق فيمن تغيب، فقبض ماله. ويقال إنه طلبه من المنصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك، فقال: قبضه مهديكم. ولما وصل عيسى إلي فئته، كتب إلي نفر من أهل المدينة ليستدعيهم، منهم عَبْد العزيز بن المطلب المخزومي، وعبيد الله بن محمد بن صَفْوان الجمحي، وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب. فخرج إليه عَبْد الله هو وأخوه عمر، وأبو عقيل محمد بن عَبْد الله بن محمد بن عقيل. واستشار المهديّ أصحابه في القيام بالمدينة ثم في الخندق عليها، فأمر بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفر الخندق

الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للأحزاب. ونزل عيسى
الأعرض، وكان محمد قد منع الناس من الخروج

فخيرهم، فخرج كثير منهم بأهلهم إلي الجبال، وبقي في شرذمة يسيرة. ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغلمش بردهم فأعجزوه، ونزل عيسى على أربعة أميال من المدينة، وبعث عسكراً إلي طريق مكة يعترضون محمداً إن انهزم إلي مكة، وأرسل إلي المهدي بالأمان والدعاء إلي الكتاب والسنة، ويحذره عاقبة البغي. فقال: إنما أنا رجل فررت من القتل. ثم نزل عيسى بالحرف لإثنتي عشرة من رمضان سنة خمس وأربعين، فقام يومين، ثم وقف على مسلم ونادى بالأمان لأهل المدينة، وأن يخفوا بينه وبين صاحبه، فشتموه، فانصرف وعاد من الغد، وقد فرّق القوّاد من سائر جهات المدينة وبرز محمد في أصحابه ورأية مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وشعارهم أحد أحد. وطلب أبو الغلمش من أصحابه البراز فبرز إليه أخو أسد فقتله، ثم آخر فقتلوا، وقال أنا ابن الفاروق. وأبلى محمد المهدي يومئذ بلاءً عظيماً، وقتل بيده سبعين رجلاً ثم أمر عيسى بن موسى حميد بن قحطبة فتقدم في مائة من الرجال إلي حائط دون الخندق فهدمه، وأجازوا الخندق وقاتلوا من وراءه، وصابرهم أصاب محمد إلي العصر. ثم أمر عيسى أصحابه فرموا الخندق بالحقائب، ونصبوا عليها الأبواب، وجازت الخيل واقتتلوا، وانصرف محمد فاغتسل وتحنط. ثم رجع فقال: اترك أهل المدينة والله لا أفعل وأقتل، وأنت مني في سعة، فمشى قليلاً معه. ثم رجع وافترق عنه جل أصحابه، وبقي في ثلثمائة أو نحوها. فقال له بعض أصحابه: نحن اليوم في عدة أهل بدر، وطفق عيسى بن حصين من أصحابه يناشده في اللحاق بالبصرة أو غيرها، فيقول والله لا تبتلون بي مرتين. ثم جمع بين الظهر والعصر، ومضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعهم. وجاء إلي السجن وقتل رياح بن عثمان وأخاه عباساً، وابن مسلم بن عقبة، وتوثق محمد بن القسريّ بالأبواب فلم يصلوا إليه. ورجع ابن حصين إلي محمد فقاتل معه، وتقدم محمد إلي بطن سلع، ومعه بنو شجاع من الخمس. فعرقبوا دوابهم، وكسروا جفون سيوفهم، واستماتوا وهزموا أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثة. وصعد نفر من أصحاب عيسى الجبل، وانحدروا منه إلي المدينة. ورفع بعض نسوة إلي العباس خماراً لها أسود على منارة المسجد. فلما رآه أصحاب محمد وهم

يقاتلون هربوا، وفتح بنو غفّار طريقاً لأصحاب عيسى، فجاؤا من وراء أصحاب محمد. ونادى حميد بن قحطبة للبراز فأبى، ونادى ابن حصين بالأمان فلم يصغ إليه، وكثرت فيه الجراح. ثم قتل وقاتل محمد على شلوه فهدّ الناس عنه هداً حتى ضرب، فسقط لركبته وطعنه ابن قحطبة في صدره. ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه إلي المنصور مع محمد بن الكرام عَبْد الله بن علي بن عَبْد الله بن جعفر، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن، وأرسل معه رؤوس بني شجاع، وكان قتل محمد منتصف رمضان. وأرسل عيسى الألوية فنصبت بالمدينة للأمان، وصلب محمد وأصحابه ما بين ثنية الوداع والمدينة، واستأذنت زينب أخته في دفنه بالبقيع، وقطع المنصور الميرة في الجر عن المدينة، حتى أذن فيها المهديّ بعده، وكان مع المهديّ سيف عليّ ذو الفقار، فأعطاه يومئذ رجلاً من التجار في دين كان له عليه. فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، أخذه منه وأعطاه من دينه. ثم أخذه منه المهديّ، وكان الرشيد يتقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة، وكان معه من مشاهير بني هاشم أخو موسى وحمزة بن عَبْد الله بن محمد بن علي بن الحسين، وحسين وعلي إبنا زيد بن علي. وكان المنصور يقول عجباً خرجا عليّ ونحن أخذنا بثأر أبيهما. وكان معه عليّ وزيد إبنا الحسن بن زيد بن الحسن، وأبوهما الحسن مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عَبْد الله بن جعفر، والقاسم بن إسحق بن عَبْد الله بن جعفر والمرخى عليّ بن جعفر بن إسحق بن علي بن عَبْد الله بن جعفر وأبوه عليّ مع المنصور، ومن غير بني هاشم محمد بن عَبْد الله بن عمر بن سعيد بن العاص، ومحمد بن عجلان وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم، وأبو بكر بن عَبْد الله بن محمد بن أبي سبرة، أخذ أسيراً فضرب وحبس في سجن المدينة، فلم يزل محبوساً إلي أن نازل السودان بالمدينة على عَبْد الله بن الربيع الحارثي، وفر عنها إلي بطن نخل، وملكوا المدينة ونهبوا طعام المنصور. فخرج ابن أبي سبرة مقيداً وأتى المسجد، وبعث إلي محمد بن عمران ومحمد بن عَبْد العزيز وغيرهما، وبعثوا إلي السودان وردوهم عما

كانوا فيه، فرجعوا ولم يصلّ الناس يومئذ جمعة. ووقف الأصبغ بن أبي سفيان بن عاصم بن عَبْد العزيز لصلاة العشاء، ونادى أصلى بالناس على طاعة أمير المؤمنين، وصلى. ثم أصبح ابن أبي سبرة ورد من العبيد ما نهبوه، ورجع ابن الربيع، من بطن نخل، وقطع رؤساء العبيد. وكان مع محمد بن عَبْد الله أيضاً عَبْد الواحد بن أبي عون مولى الأزد، وعبد الله بن جعفر بن عَبْد الرحمن بن المسور بن مخرمة، وعبد العزيز بن محمد الدراورديّ، وعبد الحميد بن جعفر، وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع وبنوه تسعة، وعيسى وعثمان إبنا خضير. وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله المنصور من بعد ذلك لمّا أخذ بالبصرة، وعبد العزيز بن إبراهيم بن عَبْد الله بن مطيع وعليّ بن المطلب بن عَبْد الله بن حنطب، وإبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير، وهشام بن عميرة بن الوليد بن بن عَبْد الجبار وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم.

شأن إبراهيم بن عَبْد الله وظهوره ومقتله:

كان إبراهيم بن عَبْد الله أخو المهديّ محمد قد اشتد الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس سنين، وكان إبراهيم يتنقل في النواحي بفارس وبكرمان والجبل والحجاز واليمن والشام، وحضر مرّة مائدة المنصور بالموصل، وجاء أخرى إلي بغداد حين خطها المنصور مع النظار على قنطرة الفرات حين شدها، وطلبه فغاض في الناس فلم يوجد، ووضع عليه الرصد بكل مكان. ودخل بيت سفيان بن حيان العمي وكان معروفاً بصحبته، فتحيل على خلاصه بأن أتى المنصور وقال: أنا آتيك بإبراهيم، فاحملني وغلامي على البريد، وابعث معي الجند ففعل. وجاء بالجند إلي البيت، وأركب معه إبراهيم في زي غلامه، وذهب بالجند إلي البصرة، ولم يزل يفرقهم على البيوت ويدخلها موهماً أنه يفتشه، حتى بقي وحده فاختفى.

وطلبه أمير البصرة سفيان بن معاوية فأعجزه، وكان قدم قبل ذلك الأهواز، فطلبه محمد بن حصين، واختفى منه عند

الحسن بن حبيب، ولقي من ذلك غيًّا. ثم قدم إبراهيم البصرة سنة خمس وأربعين، بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يحيى بن زياد بن حسان النبطي، وأنزله بداره في بني ليث. فدعا الناس إلي بيعة أخيه، وكان أول من بايعه نميلة بن مرّة العبسيّ، وعبد الله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمر بن سلمة الهجيمي، وعبد الله بن حي بن حصين الرَّقاشي، وبثوا دعوته في الناس، واجتمع لهم كثير من الفقهاء. وأهل العلم. وأحصى ديوانه أربعة آلاف، واشتهر أمره. ثم حوّلوه إلي وسط البصرة. ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر وليقرب من الناس، وولاه سفيان أمير البصرة على أمره. وكتب إليه أخوه محمد يأمره بالظهور، وكان المنصور بظاهر، وأرسل من القوّاد مدّد السفيان على إبراهيم أن ظهر، ثم إن إبراهيم خرج أول رمضان من سنة خمس وأربعين، وصلى الصبح في الجامع، وجاء دار الإمارة بابن سفيان وحبسه وحبس القوّاد معه، وجاء جعفر ومحمد إبنا سليمان بن عليّ في ستمائة رجل. وأرسل إبراهيم إليها المعين بن القاسم الحدروري في خمسين رجلاً فهزمهما إلي باب زينب بنت سليمان بن عليّ، وإليها ينسب الزينبيون من بني العباس. فنادى بالأمان وأخذ من بيت المال ألفي ألف درهم، وفرض لكل رجل من أصحابه خمسين. ثم أرسل المغيرة على الأهواز في مائة رجل، فغلب عليها محمد بن الحصين وهو في أربعة آلاف. وأرسل عمر بن شدّاد إلي فارس وبها إسمعيل وعبد الصمد إبنا عليّ، فتحصنا في دار بجرد، وملك عمر نواحيها، فأرسل هرون بن شمس العجلي في سبعة عشر ألفاً إلي واسط، فغلب عليها هرون بن حميد الإيادي وملكها. وأرسل المنصور لحربه عامر بن إسمعيل في خمسه آلاف، وقيل في عشرين. فاقتتلوا أياماً ثم تهادنوا حتى يروا مآل الأميرين المنصور وإبراهيم. ثم جاء نعي محمد إلي أخيه إبراهيم قبل الفطر، فصلى يوم العيد وأخبرهم، فازدادوا حنقاً على المنصور. ونفر في حره وعسكر من الغد، واستخلف على البصرة غيلة وابنه حسناً معه. وأشار عليه أصحابه من أهل البصرة بالمقام، وإرسال الجنود وإمدادهم واحداً بعد واحد. وأشار أهل الكوفة باللحوق إليها لأن الناس في انتظارك، ولو رأوك ما توانوا عنك، فسار. وكتب المنصور إلي عيسى بن موسى

بإسراع العود وإلى مسلم بن قتيبة بالري، وإلى سالم بقصد إبراهيم، وضم إليه غيرها من القواد. وكتب إلي المهديّ بإنفاذ خزيمة بن خازم إلى الأهواز وفارس والمدائن وواسط

والسواد، وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف يتربصون به. ثم رمى كل ناحية بحجرها، وأقام خمسين يوماً على مصلاه، ويجلس ولم ينزع عنه جبته ولا قميصه وقد توسخا، ويلبس السواد إذا ظهر للناس، وينزعه إذا دخل بيته. وأهديت له من المدينة إمرأتان فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبد الله، وأمة الكريم بنت عَبْد الله من ولد خالد بن أسيد فلم يحفل بهما. وقال: ليست هذه أيام نساء حتى أنظر رأس إبراهيم إليّ أو رأسي له. وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب إبراهيم في خمسة عشر ألفاً، وعلى مقدّمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف وسار إبراهيم من البصرة ومائة ألف حتى نزلا بإزاء عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، وأرسل إليه مسلم بن قتيبة بأن يخندق على نفسه أو يخالف عيسى إلي المنصور فهو في حف من الجنون، ويكون أسهل عليك. فعرض ذلك إبراهيم على أصحابه فقالوا: نحن هرون وأبو جعفر في أيدينا! فأسمع ذلك رسول سالم فرجع، ثم تصافوا للقتال. وأشار عليه بعض أصحابه أن يجعلهم كراديس، ليكون أثبت، والصف إذا انهزم بعضه تداعى سائره، فأبى إبراهيم إلا الصف صف أهل الإِسلام، ووافقه بقية أصحابه. ثم اقتتلوا وانهزم حميد بن قحطبة، وانهزم معه الناس، وعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة، فقال لهم حميد لا طاعة في الهزيمة. ولم يبق مع عيسى إلا فل قليل، فثبت واستمات. وبينما هو كذلك إذ قدم جعفر ومحمد بن سليمان بن عليّ، وجاء من وراء إبراهيم وأصحابه، فانعطفوا لقتالهم واتبعهم أصحاب عيسى. ورجع المنهزمون من أصحابه بأجمعهم، اعترضهم إمامهم، فلا يطيقون مخافة ولا وثوبة، فانهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في ستمائة أو أربعمائة من أصحابه وحميد يقاتله. ثم أصابه سهم بنحره، فأنزلوه واجتمعوا عليه. وقال حميد: شدّوا على تلك الجماعة فأحصروهم عن إبراهيم، وقطعوا رأسه وجاؤا به إلي عيسى، فسجد وبعثه إلي المنصور، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وأربعين، ولما وضع رأسه بين يدي المنصور بكى وقال: والله إني كنت لهذا كارها ولكني ابتليت بك وابتليت بي. ثم جلس للعامة فأذن للناس فدخلوا، ومنهم من يثلب إبراهيم مرضاة للمنصور، حتى دخل جعفر بن حنظلة الهراني فسلم ثم قال: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين

في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك، فتهلل وجه المنصور وأقبل عليه وكناه بأبي خالد واستدناه.

بناء مدينة بغداد:

وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد، وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية، ولأنه كان يكره أهل الكوفة، ولا يأمن على نفسه منهم. فتجافى عن جوارهم وسار إلي مكان بغداد اليوم، وجمع من كان هنالك من البطارقة، فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحرّ والبرد والمطر والوحل والهوام، واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها. وقالوا تجيئك الميرة في السفن من الشام والرّقة ومصر والمغرب إلي المصرات. ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة. ومن أرمينية وما اتصل بها في تامر حتى يتصل بالزاب. وأنت بين أنهار كالخنادق لا تعبر إلا على القناطي والجسور. وإذا قطعتها لم يكن لعدوك مطمع، وأنت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل، قريب من البر والبحر والجبل. فشرع المنصور في عمارتها. وكب إلي الشام والجبل والكوفة وواسط والبصرة في الصنّاع والفعلة واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفة والأمانة والمعرفة بالهندسة، فأحضرهم لذلك، منهم: الحجاج بن أرطاة، وأبو حنيفة الفقيه. وأمر بخطها بالرماد، فشكلت أبوابها وفضلانها وطاقاتها ونواحيها، وجعل على الرماد حب القطن. فأضرم ناراً ثم نظر إليها وهي تشتعل، فعرف رسمها وأمر أن تحفر الأسس على ذلك الرسم. ووكل بها أربعة من القواد يتولى كل واحد منهم ناحية. ووكل أبا حنيفة بعدّ الآجر واللبن. وكان أراده على القصاء والمظالم لأبى. فحلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له عملاً، فكان هذا. وأمر المنصور أن يكون عرض أساس القصر من أسفله خمسين ذراعاً ومن أعلاه عشرين، وجعل في البناء القصب والخشب، ووضع بيده أوّل لبنة وقال(بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.) ثم قال ابنوا على بركة الله، فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهديّ، فقطع البناء وسار إلي الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه، ورجع من مدينة ابن هبيرة إلي بغداد واستمر في بنائها، واستشار خالد بن برمك في نقض المدائن

والإيوان. فقال :لا أرى ذلك لأنه من آثار الإسلام وفتوح العرب، وفيه مصفى عليّ بن أبي طالب، فاتهمه بمحبة العجم، وأمر

بنقض القصر الأبيض، فإذا الذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه. فقال خالد :لا أرى إقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم، فأعرض عنه ونقل الأبواب إلي بغداد من واسط ومن الشام ومن الكوفة، وجعل المدينة مدورة، وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حد سواء. وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين، والداخل أعلى من الخارج. ووضع الحجاج بن أرطاة قبلة المسجد، وكان وزن اللبنة التي يبني بها مائة رطل وسبعة عشر رطلاً وطولها ذراع في ذراع، وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقواد تشرع أبوابها إلي رحبة الجامع، وكانت الأسواق داخل المدينة فأخرجهم إلي ناحية الكرخ لمّا كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها، وجعل الطرق أربعين ذراعاً، وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والأسواق والفضلان والخنادق والأبواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم. وكان الأستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط، والروز كاري بحبتين، وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلاًّ بما بقي عنده، وأخذه حتى أخذ من خالد بن الصلت منهم خمسة عشر درهما بعد أن حبسه عليها.

العهد للمهدي وخلع عيسي بن موسي :

كان السفّاح قد عهد إلي عيسى بن موسى بن عليّ وولاه على الكوفة فلم يزل عليها، فلما كبر المهديّ أراد المنصور أبوه أن يقدمه في العهد على عيسى، وكان يكرمه في جلوسه فيجلس عن يمينه والمهدي عن يساره، فكلمه في التأخر عن المهديّ في العهد فقال: يا أمير المؤمنين كيف بالإيمان التى عليّ وعلى المسلمين وأبى ذلك، فتغير له المنصور وباعده بعض الشيء. وصار يأذن للمهديّ قبله ولعمه عيسى بن عليّ وعبد الصمد. ثم يدخل عيسى فيجلس تحت المهديّ واستمر المنصور على التنكر له وعزله عن الكوفة لثلاث عشرة سنة من ولايته، وولى مكانه محمد بن سليمان بن علي، ثم راجع عيسى نفسه فبايع المنصور للمهديّ بالعهد، وجعل عيسى من بعده. ويقال: إنه أعطاه أحد عشر ألف ألف درهم، ووضع الجند في الطرقات لأذاه وإشهاد خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة

بالخلع تركت جميعها لأنها لا تليق بالمنصور وعدالته المقطوع بها فلا يصح من تلك الأخبار شيء.

خروج استادسيس:

كان رجل ادعى النبوَّة في جهات خراسان فاجتمع إليه نحو ثلثمائة ألف مقاتل من أهل هراة وباذغيس وسجستان، وسار إليه الأخثم عامل مرو الروذ في العساكر، فقاتل الأخثم وعامة أصحابه، وتتابع القواد في لقائه فهزمهم. وبعث المنصور وهو بالبرداق خازم بن خزيمة إلي المهديّ في إثني عشر ألفاً، فولاه المهدي حربه فزحف إليه في عشرين ألفاً. وجعل على ميمته الهيثم بن شبة بن ظهير، وعلى ميسرته نهار بن حصن السعدي، وفي مقدمته بكّار بن مسلم العقيلي، ودفع لواءه للزبرقان. ثم راوغهم في المزاحفة وجاء إلي موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب، وأتى أصحاب أستادسيس بالفؤس والمواعيل ليطموا الخندق، فبدؤا بالباب الذي يلي بكّار بن مسلم، فقاتلهم بكّار وأصحابه حتى ردّوهم عن بابهم. فأقبلوا على باب خازم وتقدم منهم الحريش من أهل سجستان، فأمر خازم الهيثم بن شعبة أن يخرج من باب بكّار ويأتي العدو من خلفهم، وكانوا متوقعين قدوم أبي عون وعمر بن مسلم بن قتيبة وخرج خازم على الحريش واشتد قتاله معهم. وبدت أعلام الهيثم من ورائهم، فكبر أهل العسكر وحملوا عليهم فكشفوهم، ولقيهم أصحاب الهيثم فاستمر فيهم القتال، فقتل سبعون ألفاً وأسر أربعة عشر، وتحصّن أستادسيس على حكم أبي عون، فحكم بأن يوثق هو وبنوه ويعتق الباقون، وكتب إلي المهديّ بذلك فكتب المهديّ إلي المنصور. ويقال: إنّ أستادسيس أبو مراجل أم المأمون وابنه غالب خال المأمون الذي قتل الفضل بن سهل.

ولاية هشام بن عمرو الثغلبي على السند:

كان على السند أيام المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة ويلقب مرامى- يعني ألف رجل- ولما كان من أمر المهديّ ما قدمناه بعث ابنه عَبْد الله

الأشتر إلي البصرة ليدعو له، فسار من هنالك إلي عمر بن حفص وكان يتشيع فأهدى له خيلاً يمكن بها من لقائه. ثم دعاه فأجاب وبايع له وأنزله عنده مختفياً ودعا القوّاد وأهل البلد فأجابوا فمزق الأعلام، وهيأ لبسة من البياض يخطب فيها، وهو في ذلك إذ فجأه الخبر بقتل المهديّ، فدخل على ابنه أشتر وعزاه. فقال له الله في دمي فأشار عليه باللحاق بملك من ملوك السند عظيم المملكة كان يعظم جهة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان معروفاً بالوفاء، فأرسل إليه بعد أن عاهده عليه، واستقر عند ذلك الملك. وتسلل إليه جماعة من الزيدية نحواً من أربعمائة، وبلغ ذلك المنصور فغاظه وكتب إلي عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السند وعرض له يوماً هشام بن عمرو الثغلبي وهو راكب، ثم اتبعه إلي بيته وعرض عليه أخته، فقال للربيع: لو كانت لي حاجة في النكاح لقبلت فجزاك الله خيراً، وقد وليتك السند فتجهز لها، وأمره أن يحارب ملك السند ويسلم إليه الأشتر ففعل، وأقام المنصور يستحثه. ثم خرجت خارجة بالسند فبعث هشام أخاه سفيحاً لحسم الداء عنها، فمر بنواحي ذلك الملك، فوجد الأشتر يتنزه في شاطىء همذان في عشرة من الفرسان فجاء ليأخذه فقاتلهم حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً. وكب هشام بذلك إلي المنصور. فشكره وأمر بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على مملكته، وبعث بسراريّ عَبْد الله الأشتر ومعه ولد منه إسمه عَبْد الله بعث بهم المنصور إلي المدينة وأسلمه إلي أهله. ولما ولّى هشام بى عمر على السند وعزل عمر بن حفص عنها. ثم حدث فتق بإفريقية بعثه إلي سدّه كما سيأتي في أخبارها.

بناء الرصافة للمهدي:

ولما رجع المهديّ من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وجملهم وكذلك المنصور. ثم شعب عليهم الجند فأشار عليهم قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بأن يفرق بينهم ويستكفيه في ذلك، وأمر بعض غلمانه أن يعترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسله والعباس وأمير المؤمنين أبي الحسين من أشرف اليمن أم مضر؟ فقال: مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله، لغضب اليمن إذ لم يذكر لها

فضلاً ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتنعت مضر وقطعوا الذي كبحها، فتشاجر الحيان وتعصبت لليمن ربيعة والخراسانية للدولة وأصبحوا أربع فرق، وقال قثم للمنصور: إضرب كل واحدة بالأخرى وسير لابنك المهديّ فلل أمير له بجنده فيتناظرون في أهل مدينتك، فقبل رأيه وأمر صالحاً صاحب المصلى ببناء الرصافة للمهديً.

مقتل معن بن زائدة :

كان المنصور قد ولى على سجستان معن بن زائدة الشيباني وأرسل إلي رتبيل في الضريبة التي عليه فبعث بها عروضاً زائدة الثمن، فغضب معن وسار إلي الرخج على مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد، ففتحها وسبى أهلها وقتلهم، ومضى رتبيل إلي عزمه، وانصرف معن إلي بست فشتى بها. ونكر قوم من الخوارج سيرته فهجموا عليه وفتكوا به في بيته. وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدّت على أهل البلاد وطأته، فتحيل بعضهم بأن كتب المنصور على لسانه كتاباً يتضجر من كتب المهديّ إليه ويسأله أن يعفى من معاملته. فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهديّ كتابه وعزله وحبسه، ثم شفع فيه شخص إلي مدينة السلام فلم يزل مجفواً حتى بعث إلي يوسف البرم بخراسان كما يذكر بعد.

العمال علي النواحي أيام السفّاح والمنصور:

كان السفّاح قد ولّى عند بيعته على الكوفة عمه داود بن عليّ، وجعل على حجابته عَبْد الله بن بسّام وعلى شرطته موسى بن كعب، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك، وبعث عمه عَبْد الله قتال مروان مع أبي عون بن يزيد بن قحطبة تقدمة. وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلي المدائن، وكان أحمد بن قحطبة تقدمة، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن عمّار بن ياسر إلي الأهواز مدّداً لبسام بن إبراهيم،

ودفع ولاية خراسان إلي أبي مسلم، فولى أبو مسلم عليها إياداً وخالد بن إبراهيم، وبعث عمّه عَبْد الله في مقدمته لحرب مروان أخاه صالحاً ومعه أبو عون بن يزيد، فلما ظفر وانصرف ترك أبا عون يزيد بمصر واستقل عَبْد الله بولاية الشام. وولّى السفّاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فولّذى على أرمينية يزيد بن أسد وعلى أذربيجان محمد بن صول ونزل الجزيرة. وكان أبو مسلم ولّى على فارس محمد بن الأشعث حين قتل أبا مسلمة الخلّال، فبعث السفّاح عليها عيسى فمنعه محمد بن الأشعث واستخلفه على الولاية، فبعث عليها عمّه إسمعيل. وولّى على الكوفة ابن أخته موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية المهلبيّ وعلى السند منصور بن جمهور ونقل عمه داود إلي ولاية الحجاز واليمن واليمامة. ثم ولى على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان. وتوفي داود بن عليّ سنة ثلاث وثلاثين، فولّى مكانه على اليمن محمد بن يزيد بن عَبْد الله بن عَبْد المدان، وعلى مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد بن عَبْد الله بن عَبْد المدان الحارثي وهو عم محمد بن يزيد. وفيها بعث محمد بن الأشعث إلي إفريقية ففتحها. وفي سنة أربع وثلاثين بعث صاحب الشرطة موسى بن كعب لقتال منصور بن جمهور، وولّاه مكانه على السند، فاستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير. وتوفي عامل اليمن محمد بن يزيد فولّى مكانه عليّ بن الربيع بن عبيد الله الحارثيّ. ولما استخلف المنصور وانتقض عَبْد الله بن علي وأبو مسلم ولّى على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم وعلى مصر صالح بن علي وعلى الشام عَبْد الله بن عليّ. ثم هلك خالد بن إبراهيم سنة أربعين فولى مكانه عَبْد الجبار بن عَبْد الرحمن فانتقض لسنة من ولايته، فبعث المنصور ابنه المهديّ على خراسان وفي مقدمته خازم بن خزيمة فظفر بعبد الجبار. وتوفي سليمان عامل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن معاوية، ومات موسى بن كعب بالسِّند وولّى مكانه ابنه عيينة فانتقض، فبعث المنصور مكانه عمر بن حفص بن أبي صفرة. وولّى على مصر في هذه السنة حميد بن قحطبة، وولّى على الجزيرة والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد وكان بها يزيد بن أسيد، وعزل عمه إسمعيل عن الموصل وولّىّ مكانه مالك بن الهيثم الخزاعيّ. وفي سنة ست

وأربعين عزل الهيثم بن معاوية وولّى على مكة والطائف مكانه السريّ بن عَبْد الله بن الحرث بن العبّاس نقله إليها من اليمامة، وولّى مكانه من اليمن قثم بن العبّاس بن عَبْد الله بن العبّاس، وعزل حميد بن

قخطبة عن مصر وولّى مكانه نوفل بن الفرات. ثم عزله وولّى مكانه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة. وولّى على المدينة محمد بن خالد بن عَبْد الله القسريّ، ثم اتهمه في أمر ابن أبي الحسن فعزله، وولّى مكانه رباح بن عثمان المزنيّ. ولما قتله أصحاب محمد المهديّ ولّى مكانه عَبْد الله بن الربيع الحارثي. ولما قتل إبراهيم أخو المهدي سنة خمس وأربعين ولّى المنصور على البصرة سالم بن قتيبة الباهليّ، وولّى على الموصل ابنه جعفراً مكان مالك بن الهيثم، وبعث معه حرب بن عَبْد الله من أكابر قوّاده. ثم عزل سالم بن قتيبة عن البصرة سنة ست وأربعين، وولّى مكانه محمد بن سليمان، وعزل عَبْد الله بن الربيع عن المدينة، وولّى مكانه جعفر بن سليمان، وعزل السريّ بن عَبْد الله عن مكة وولّى مكانه عمه عَبْد الصمد بن عليّ، وولّى سنة سبع وأربعين على الكوفة محمد بن سليمان مكان عيسى بن موسى لمّا سخطه بسبب العهد. وولّى مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد بن السفّاح، فاستعفاه ورجع إلي بغداد فمات، واستخلف بها عقبة بن سالم فأقّره. وولّى على المدينة جعفر بن سليمان، وولّى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن برمك لإفساد الأكراد في نواحيها، وعزل سنة تسع وأربعين عمه عَبْد الصمد عن مكة، وولّى مكانه محمد بن إبراهيم.وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة، وولّى مكانه الحسن بن زيد بن الحسن. وفي سنة إحدى وخمسين عزل عمر بن حفص عن السِّند وولّى مكانه هشام بن عمرو الثغلبيّ، وولّى عمر بن حفص على أفريقية. ثم بعث يزيد بن حاتم من مصر مدّداً له، وولّى مكانه بمصر محمد بن سعيد. وفي هذه السنة قتل معن بن ذائدة بسجستان كما تقدّم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد، فأقّره المنصور ثم عزله. وفي هذه السنة سار عقبة بن سالم من البصرة واستخلف نافع بن عقبة، فغزا البحرين وقتل ابن حكيم العدويّ واستقصره المنصور بإطلاق أسراهم، فعزله وولّى جابر بن مومة الكلابيّ، ثم عزله وولّى مكانه عَبْد الملك بن ظبيان النميريّ. ثم عزله وولّى الهيثم بن معاوية العكّيّ.وفيها ولّى على مكة والطائف محمد بن إبراهيم الإمام، ثم عزله وولّى مكانه إبراهيم ابن أخيه، يحيى بن محمد، وولّى على الموصل إسمعيل بن خالد بن عَبْد الله القسريّ.

ومات أسيد بن عَبْد الله أمير خراسان فولّى مكانه حميد بن قحطبة. وفي سنة ثلاث وخمسين توفي عبيد الله ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة، فاستقضى شريك بن عَبْد الله النخعيّ، وكان على اليمن

يزيد بن منصور.وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العبّاس وأغرمه مالاً، وولّى مكانه موسى بن كعب الخثعمي، وكان سبب عزله شكاية يزيد بن أسيد منه، ولم يزل ساخطاً على العبّاس حتى غضب على عمه إسمعيل، فشفع فيه أخوته عمومة المنصور. فقال عيسى بن عيسى: يا أمير المؤمنين شفعوا في أخيهم وأنت ساخط على أخيك العبّاس منذ كذا ولم يكلمك فيه أحد منهم فرضي عنه.وفي سنة خمس وخمسين عزل محمد بن سليمان عن الكوفة وولّى مكانه عمر بن زهير الضبي أخا المسيب صاحب الشرطة، وكان من أسباب عزله، أنه حبس عَبْد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة على الزندقة، وكتب إليه أن يتبين أمره، فقتله قبل وصول الكتاب، فغضب عليه المنصور وقال: لقد هممت أن أقيده به، وعزل عمّه عيسى في أمره لأنه الذي كان أشار بولايته. وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولّى مكانه عمّه عَبْد الصمد بن علي، وكان على الأهواز وفارس عمارة بن حمزة.وفي سنة سبع وخمسين ولّى على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة فأنفذ إليها ابنه تميماً، ومات سوار بن عَبْد الله قاضي البصرة فولّى مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحسين العيريّ. وعزل محمد بن الكاتب عن مصر وولّى مكانه مولاه مطراً، وعزل هشام بن عمرو عن السِّند وولّى مكانه معبد بن الخليل. وفي سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشيء بلغه عنه فأمر ابنه المهديّ أن يسير إلي الرقّة موريا بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه، وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجّله في إحضارها ثلاثاً وإلا قتله، فبعث ابنه يحيى إلي عمارة بن حمزة ومبارك التركي، وصالح صاحب المصلّى وغيرهم من القوّاد ليستقرض منهم، قال يحيى: فكلهم بعث إلا أنّ منهم من منعني الدخول ومنهم من يجيبني بالرد إلا عمارة بن حمزة فإنه أذن لي ووجهه إلي الحائط، ولم يقبل عليه، وسلّمت فرّد خفيفاً، وسأل كيف خالد فعرّفته واستقرضته فقال: إن أمكنني شيء يأتيك فانصرفت عنه .ثم أنفذ المال فجمعناه في يومين وتعذرت ثلثمائة ألف. وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الأكراد بها، وسخط موسى بن كعب، فأشار عليه

المسيب بن زهير بخالد بن برمك فقال: كيف يصلح بعدما فعلنا؟ فقال أنا ضامنه فصفح له عما بقي عليه، وعقد له على الموصل، ولابنه يحيى على أذربيجان. وسارا مع المهديّ

فعزل موسى بن كعب وولاهما.قال يحيى: وبعثني خالد إلي عمارة بمرضه وكان مائة ألف، فقال لي: أكنت لأبيك صديقاً؟ قم عني لا قمت. ولم يزل خالد على الموصل إلي وفاة المنصور. وفي هذه السنة عزل المنصور المسيب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيداً لأنه ضرب أُبان بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله، وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة، وولّى المنصور على فارس نصر بن حرب بن عَبْد الله. ثم على الشرطة ببغداد عمر بن عَبْد الرحمن أخا عَبْد الجبّار، وعلى قضائها عَبْد الله بن محمد بن صَفْوان. ثم شفع المهديّ في المسيب وأعاده إلي شرطته.

الصوائف

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين بما وقع من الفتن، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم إلي ملطية ونواحيها فنازل حصن بلخ، واستنجدوا أهل ملطية فأمدوهم بثمانمائة مقاتل، فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة، وعاملها موسى بن كعب بخراسان، فسلموا البلد على الأمان لقسطنطين. ودخلوا إلي الجزيرة وخرب الروم ملطية ثم ساروا إلي قاليقلا ففتحوها. وفي هذه السنة سار أبو داود وخالد بن إبراهيم إلي الجتن فدخلها فلم تمتنع عليه، وتحصن منه السبيل ملكهم وحاصره مدة، ثم فرض الحصن ولحق بفرغانة.ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا إلي بلد الصين، وفيها بعث صالح بن علي بن فلسطين سعيد بن عَبْد الله لغزو الصائفة وراء الدروب. وفي سنة خمس وثلاثين غزا عَبْد الرحمن بن حبيب عامل أفريقية جزيرة صقلية فغنم وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله. ثم سفل ولاة إفريقية بفتن البربر، فأمن أهل صقلية وعمر الحصون والمعاقل، وجعلوا الأساطيل تطوف بصقليهة للحراسة، وربما صادفوا تجار المسلمين في البحر فأخذوهم. وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ ملطية عنوة وهدم سورها وعفا عن أهلها. فغزا العبّاس بن محمد الصائفة ومعه عماه صالح وعيسى،

وبنى ما خربه الروم من سور ملطية أثناء ثورة الروم، وردّ إليها أهلها وأنزل بها الجند، ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغل في أرضهم، ودخل جعفر بن حنظلة البهراني من درب ملطية.وفي سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم في أسرى قاليقلا وغيرهم. ثم غزا بالصائفة سنة أربعين عَبْد الوهاب بن إبراهيم الإمام ومعه الحسن بن قحطبة، وسار إليهم قسطنطين ملك الروم في مائة ألف، فبلغ جيحان، وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع، ولم تكن بعدها صائفة إلي سنة ست وأربعين، لاشتغال المنصور بفتنة بني حسن. وفي سنة ست وأربعين، خرج الترك والحدر من باب الأبواب وانتهوا إلي أرمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا.وفي سنة سبع وأربعين أغار أسترخان الخوارزمي في جمع من الترك على أرمينية فغنم وسبى، ودخل تفليس، فعاث فيها. وكان حرب بن عَبْد الله مقيماً بالموصل في ألفين من الجند لمكان الخوارزمي بالجزيرة، فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى، فانهزموا وقتل حرب في كثير من المسلمين. وفيها غزا بالصائفة مالك بن عَبْد الله الخثعمي من أهل فلسطين، ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحرث. وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا. ومات محمد بن الأشعث في طريقه في سنة إحدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر.ثم غزا بالصائفة سنة أربع وخمسين زفر بن عاصم الهلاليّ. وفي سنة خمس بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدي الجزية، وغزا بالصائفة يزيد بن أسيد السلمي وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة معيوب بن يحيى من درب الحرث ولقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا.

وفاة المنصور وبيعة المهدي

وفي سنة ثمان وخمسين توفي المنصور منصرفاً من الحج ببئر ميمون لست خلت من ذي الحجة، وكان قد أوصى المهديّ عند وداعه فقال: لم أدع شيئاً إلا تقدمت إليك فيه،

وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها، وله سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره. فقال للمهديّ: انظر إلي هذا السفط فاحتفظ به فإن فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلي يوم القيامة، فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير، فإن أصبت فيه ما تريد وإلا ففي الثاني والثالث حتى تبلغ سبعة. فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد ما تريد فيها وما أظنك تفعل.فانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها، وقد جمعت فيها من الأموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البيوت. فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظنك تفعل. وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن إليهم وتقدّمهم وتوطىء الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإن عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل. وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك، وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم، وأن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولده وما أظنك تفعل. وإياك أنّ تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل. وإياك أن تستعين برجل من بني سليم وأظنك ستفعل. وإياك أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل.وقيل قال له إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وقد يحس في نفسي أن أموت في ذي الحجة في هذه السنة، وإنما حدّ لي الحج على ذلك. فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعديّ يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجاً ومخرجاً ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب. يا بني إحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحدود فإن فيها صلاحك في الأجل وصلاحك في العاجل، ولا تعتد فيها فتبور، فإن الله تعالى لو علم أن شيئاً أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه.واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً مع ما ادخر له من العذاب الأليم فقال: { **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً** } الآية.

فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصّنه وذبّ عنه، وأوقع بالملحدين واقمع المارقين منه، وقابل الخارجين عنه بالعقاب، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن. واحكم بالعدل

ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشعب وأحسم للعدو وأنجع فى الدواء، واعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك. وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثرة والتبديد لأموال الرعية، واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمن السبيل وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعد الأموال واخزنها، وإياك والتبديد فإن النوائب غير مأمونة وهي من شيم الزمان. وأعدّ الأكراع والرجال والجند ما استطعت.وإياك وتأخير عمل اليوم لغد فتتداول الأمور وتضيع، وخذ في أحكام الأمور النازلات في أوقاتها أولاً، أولاً، واجتهد وشمر فيها وأعدّ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل. وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حسن الظن وأسىء الظن بعملك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك وسفل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك وكل بهم عينا غير نائمة ونفساً غير ساهية. ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولّي الخلافة ولا دخل عينيه الغمض إلا وقلبه مستيقظ. هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك.ثم ودعه وسار إلي الكوفة فأحرم منها قارناً، وساق الهدي وأشعره وقلده لأيام خلت من ذي القعدة. ولما سار منازل عرض له وجعه الذي مات به. ثم اشتدّ فجعل يقول للربيع- وكان عديله- بادر بي إلي حرم ربي هارباً من ذنوبي، فلما وصل بئر ميمون مات سحر السادس من ذي الحجة لم يحضر إلا خدمه والربيع مولاه. فكتموا الأمر ثم غدا أهل بيته على عادتهم، فدعا عيسى بن علي العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولّي العهد، ثم الأكابر وذوي الأنساب ثم عامتهم. فبايعهم الربيع للمهدي، ثم بايع القوّاد وعامة الناس. وسار العبّاس بن محمد ومحمد بن سليمان إلي مكة فبايعا الناس للمهديّ بين الركن والمقام وجهزوه إلي قبره، وصلى عليه عيسى بن موسى، وقيل إبراهيم بن يحيى، ودفن في مقبرة المعلاة وذلك لاثنتين وعشرين سنة من خلافته.وذكر علي بن محمد النوفلي عن أبيه، وهو من أهل البصرة وكان يختلف إلي المنصور تلك الأيام قال: جئت من مكة صبيحة موته إلي العسكر فإذا موسى بن المهدي عند عمود السرادق، والقاسم بن المنصور في ناحية فعلمت أنه قد مات.ثم أقبل الحسن بن زيد العلوي والناس حتى ملؤا السرادق وسمعنا همس البكاء.ثم

خرج أبو العنبر الخادم مشقوق الأقبية وعلى رأسه التراب وهو يستغيث، وقام القاسم فشق ثيابه. ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس فقرأه على الناس وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم..

من عَبْد الله

المنصور أمير المؤمنين، إلي من خلف من بني هاشم وشيعة من أهل خراسان وعامة المسلمين، ثم بكى وبكى الناس ثم قال: البكاء إمامكم فانصتوا رحمكم الله : ثم قرأ: أمَّا بعد فإني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من أيام الدنيا أقرأ عليكم السلام، وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعاً ولا يذيق بعضكم بأس بعض.ثم أخذ في وصيتهم للمهديّ وحثهم على الوفاء بعهده. ثم تناول الحسن بن زيد وقال: قم فبايع: فبايع موسى بن المهديّ لأبيه، ثم بايع الناس الأول فالأول. ثم دخل بنو هاشم وهو في أكفانه مكشوف الرأس لمكان الإحرام، فحملوه على ثلاثة أميال من مكة فدفنوه. وكان عيسى بن موسى لمّا بايع الناس أبى من الشيعة، فقال له عليّ بن عيسى بن ماهان: والله لتبايعن وإلا ضربنا عنقك. ثم بعث موسى بن المهدي والربيع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة إلي المهديّ وخرجوا من مكة.ولما وصل الخبر إلي المهدي منتصف ذي الحجة اجتمع إليه أهل بغداد وبايعوه، وكان أول ما فعله المهدي حين بويع أنه أطلق من كان في حبس المنصور إلا من كان في دم أو مال أو ممن يسعى بالفساد، وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوساً مع الحسن بن إبراهيم بن عَبْد الله بن حسن بن الحسن.فلما أطلق ساء ظن إبراهيم وبعث إلي من يثق به بحفر سرب يفضي إلي محبسه، وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء إلي ابن علاثة القاضي وأوصله إلي أبي عبيد الله الوزير ليوصله إلي المهديّ فأوصله واستخلاه فلم يحدثه حتى قام الوزير والقاضي وأخبره بتحقيق الحال، فأمره بتحويل الحسن، ثم هرب بعد ذلك ولم يظفر به. وشاور يعقوب بن داود في أمره فقال: أعطه الأمان وأنا أحضره وأحضره. ثم طلب من المهديّ أن يجعل له السبيل في رفع أمور الناس وراء بابه إليه فأذن له وكان يدخل كلما أراد، ويرفع إليه النصائح في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وترويح العذاب وفكاك الأسرى والمحبوسين، والقضاء على الغارمين والصدقة على المتعففين، فحظي بذلك وتقدمت منزلته وسقطت منزلة أبي عَبْد الله، ووصله المهديّ بمائة ألف وكتب له التوقيع بالإخاء في الله.

ظهور المقنع ومهلكه:

كان هذا المقنع من أهل مرو ويسمى حكيماً وهاشمياً، وكان يقول بالتناسخ وأن الله خلق آدم فتحول في صورته ثم في صورة نوح، ثم إلي أبي مسلم ثم إلي هاشم وهو

المقنع. فظهر بخراسان وادعى الإلهية واتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه فسمي المقنع، وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بثأره، وتبعه خلق عظيم من الناس وكانوا يسجدون له. وتحصن بقلعة بسّام من رساتيق كش وكان قد ظهر ببخارى والصغد جماعة من المبيضة فاجتمعوا معه على الخلاف، وأعانهم كفار الأتراك وأغاروا على المسلمين من ناحيتهم، وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر بن سيّار، فقتلوا أخاه محمد بن نصروحسان ابن أخيه تميم.وأنفذ المهديّ إليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال المبيضة، فقاتلوهم أربعة أشهر في بعض حصون بخارى وملكوه عنوة، فقتل منهم سبعمائة، ولحق فلهم بالمقنع وجبريل في اتباعهم. ثم بعث المهديّ أبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ في قتاله، فبعث معاذ بن مسلم في جماعة القوّاد والعساكر، وعلى مقدّمته سعيد الحريشي، وأتاه عقبة بن مسلم من ذم فاجتمعوا بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع فهزموهم، ولحق فلهم بالمقنع في بسّام فتحصنوا بها. وجاء معاذ فنازلهم وفسد ما بينه وبين الحريشيّ، فكتب الحريشيّ إلي المهديّ بالسعاية في معاذ، ويضمن الكفاية إن أفرد بالحرب، فأجابه المهديّ إلي ذلك وانفرد بحرب المقنع وأمده معاذ بابنه وجاؤا بآلات الحرب حتى طلب أصحاب المقنع الأمان سراً فأمنهم وخرج إليه ثلاثون ألفاً وبقي معه زهاء ألفين، وضايقوه بالحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه وأهله. فيقال سقاهم السم، ويقال بل أحرقهم وأحرق نفسه بالنار، ودخلوا القلعة وبعث الحريشي برأس المقنع إلي المهدي فوصل إليه بحلب سنة ثلاث وتسعين.

الولاة أيام المهديّ:

وعزل المهديّ سنة تسع وخمسين عمه إسمعيل عن الكوفة وولّى عليها إسحق بن الصفّاح الكندي ثم الأشعي، وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجمحيّ وعزل سعيد بن دعلج عن أحداث البصرة، وعبيد الله بن الحسن عن الصلاة وولّى مكانهما عَبْد الملك بن أيوب بن طيبان الفهيريّ. ثم جعل الأحداث إلي عمارة بن حمزة فولاها للسود بن عَبْد الله الباهلي. وعزل قثم بن العبّاس عن اليمامة وولّى مكانه الفضل بن صالح، وعزل مطراً مولى المنصور عن مصر

وولّى مكانه أبا ضمرة محمد بن سليمان. وعزل عَبْد الصمد بن عليّ عن المدينة وولّى مكانه محمد بن عَبْد الله الكثيريّ ثم عزله وولّى عَبْد الله بن محمد بن عَبْد الرحمن بن صَفْوان، ثم عزله وولّى مكانه زفر بن عاصم الهلاليّ.وتوفي معبد بن الخليل عامل السّند فولى مكانه روح بن حاتم بإشارة وزيره أبي عَبْد الله. وتوفي حميد بن قحطبة بخراسان فولّى عليها مكانه أبا عون عَبْد الملك بن يزيد، ثم سخطه سنة ستين فعزله، وولّى معاذ بن مسلم. وولّى على سجستان حمزة بن يحيى، وعلى سمرقند جبريل بن يحيى فبنى سورها وحصّنها. وكان على اليمن رجاء بن روح، وولّى على قضاء الكوفة شريك. . وولّى على فارس والأهواز ودجلة قاضي البصرة عبيد الله بن الحسن، ثم عزله وولّى مكانه محمد بن سليمان، وولّى على السِّند بسطام بن عمر، وولّى على اليمامة بشر بن المنذر.وفي سنة إحدى وتسعين ولّى على السِّند محمد بن الأشعث، واستقضى عافية القاضي مع ابن علاثة بالرصافة، وعزل الفضل بن صالح عن الجزيرة وولّى مكانه عَبْد الصمد بن عليّ، وولّى عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان السروريّ على الموصل وبسطام بن عمرو الثغلبيّ على أذربيجان، وعزله عن السِّند.وتوفي نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة، فولّى مكانه حمزة بن مالك وكان الأبان بن صدقة كاتباً للرشيد فصرفه وجعله مع الهادي، وجعل هو مع هرون يحيى بن خالد، وعزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر وولّى مكانه سليمان بن رجاء، وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحداثها إسحق بن منصور. وفي سنة ست وستين عزل عليّ بن سليمان عن اليمن وولّى مكانه عَبْد الله بن سليمان، وعزل مسلمة بن رجاء عن مصر وولّى مكانه عيسى بن لقمان، ثم عزله لأشهر وولّى مكانه مولاه واضحاً، ثم عزله وولّى مكانه يحيى الحريشي، وكان على طبرستان عمر بن العلاء وسعيد بن دعلج، وعلى جرجان مهليل بن صَفْوان، ووضع ديوان الأرمة وولّى عليها عمر بن بزيع مولاه.

العهد للهادي وخلع عيسي:

كان جماعة من بني هاشم وشيعة المهدي خاضوا في خلع عيسى بن موسى من
ولاية

العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهديّ، ونمي ذلك إلي المهديّ فسر به واستقدم عيسى بن موسى من منزله بالرحبة من أعمال الكوفة فامتنع من القدوم. فاستعمل المهديّ على الكوفة روح بن حاتم وأوصاه بالأضرار فلم يجد سبيلاً إلي ذلك. وكان عيسى لا يدخل الكوفة إلا يوم جمعة أو عيد. وبعث إليه المهدي يتهدده فلم يجب، ثم بعث عمه العبّاس يستقدمه فلم يحضر. فبعث قائدين من الشيعة فاستحضراه إليه، وقدم على عسكر المهديّ وأقام أياماً يختلف إليه ولا يكلم بشيء. غر الدار يوماً وقد اجتمع رؤساء الشيعة لخلعه، فثاروا به وأغلق الباب الذي كان خلفه فكسروه، وأظهر المهديّ النكير عليهم فلم يرجعوا إلا أن كاشفه أكابر أهل بيته وأشدهم محمد بن سليمان، واعتذر بالأيمان التي عليه. فأحضر المهديّ القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجي فأفتوه بمخارج الأيمان، وخلع نفسه وأعطاه المهديّ عشرة آلاف درهم وضياعاً بالزاب وكسكر، وبايع لابنه موسى الهادي بالعهد. ثم جلس المهديّ من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم وخرج إلي الجامع وعيسى معه، فخطب وأعلم الناس ببيعة الهادي ودعاهم إليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع.

فتح باربد من السند:

وبعث المهدي سنة تسع وخمسين عَبْد الملك بن شهاب المسمعي في جمع كثير من الجند والمقطوعة إلي بلاد الهند، فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند، وفتحوا باربد فافتتحوها عنوة ولجأ أهلها إلي البدّ فأحرقوه عليهم فاحترق بعض وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام إلي أن يطيب الريح، فوقع فيهم موتان فهلك ألف فيهم إبراهيم بن صبيح. ثم ركبوا البحر إلي فارس، فلما انتهوا إلي ساحل حرّان عصفت بهم الريح فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم.

حج المهدي:

وفي سنة ستين حج المهديّ واستخلف على بغداد ابنه الهادي وخاله يزيد بن منصور، واستصحب ابنه هرون وجماعة من أهل بيته، وكان معه الوزير يعقوب بن

داود، فجاء في مكة بالحسن بن إبراهيم الذي ضمنه على الأمان فوصله بالمهدي وأقطعه. ولما وصل إلي مكة اهتم بكسوة الكعبة فكساها بأفخر الكسوة بعد أن نزع ما كان عليها. وكانت فيها كسوة هشام بن عَبْد الملك من الديباج الثخين، وقسم مالاً عظيماً هنالك في مصارف الخير فكان منه مما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم، ووصل إليه من مصر ثلثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائة ألف دينار، ففرق ذلك كله، وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع المسجد، ونقل خمسمائة من الأنصار إلي العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم وأجرى الأرزاق. ولما رجع أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور، من القادسية إلي زبالة ، وأمر باتخاذ المصانع في كل منها منهل، وبتحديد الأميال وحفر الآبار، وولّى على ذلك بقطير بن موسى، وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتصغير المنابر إلي مقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم . وأمر في سنة سبع وستين بالزيادة في الحرمين على يد بقطير، فدخلت فيه دول كثيرة، ولم يزل البناء فيهما إلي وفاة المهديّ.

نكبة الوزير أبي عَبْد الله:

كان أبو عَبْد الله الأشعري قد اتصل بالمهدي أيام أبيه المنصور، فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه إلي خراسان وعظمت به بطانة المهديّ فأكثروا فيه السعاية ،وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور وجسن القول فيه. فكتب المنصور إلي المهدي بالوصاة به وأن لا يقبل فيه السعايةّ، ولصا مات المنصور وقام الربيع ببيعة المهدي ،وقدموا إلي بغداد جاء الربيع إلي باب أبي عَبْد الله قبل المهدي وقبل أهله، فعذله ابنه افضل على ذلك ،فقال :هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله بغير ما كنا نعامله، وإياك أن تذكر ما كنا نصنع في حقه أو تمنن بذلك في نفسك. فلصا وقف ببابه أمهله طويلاً من المغرب إلي العشاء. ثم أذن له فدخل عليه وهو متكىء فلم يجلس ولا أقبل عليه.

وشرع الربيع يذكر أمر البيعة فكفه وقال: قد بلغنا أمركم: فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعذل فيما فعل بأن لم يكن الصواب. فقال له: ليس الصواب إلا ما عملته، ولكن والله لأنفقن مالي وجاهي في مكروهه،

وجد في السعاية فيه فلم يجد طريقاً إليها لاحتياطه في أمر دينه وأعماله.
فأتاه من قبل ابنه محمد، ودس إلي المهدي بعرضه لحرمه وأنه زنديق، حتى إذا استحكمت التهمة فيه أحضره

المهدي في غيبة من أبيه ثم قال له: اقرأ! فلم يحسن فقال لأبيه: ألم تقل إن ابنك يقرأ القرآن؟ فقال فارقني منذ سنين وقد نسي، فأمر به المهدي فقتل. واستوحش من أبي عَبْد الله وساءت منزلته إلي أن كان من أمره ما نذكره، وعزله عن ديوان الرسائل ورده إلي الربيع ، وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهدي وعظم شأنه وأنفذ عهده إلي جميع الآفاق بوضع الأمناء ليعقوب، وكان لا ينفذ كتاب المهديّ حتى يكتب يعقوب إلي يمينه بإنفاذ ذلك.

ظهور دعوة العباسة بالأندلس وانقطاعها:

وفي سنة إحدى وستين أجاز عَبْد الرحمن بن حبيب الفهريّ من إفريقية إلي الأندلس داعية لبني العباس،ن ونزل بساحل مرسية، وكاتب سليمان بن يقظان عامل سرقسطة في طاعة المهديّ فلم يجبه. وقصد بلاده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان وعاد إلي تدبير. وسار إليه عَبْد الرحمن صاحب الأندلس وأحرق السفن في البحر تضييقاً على ابن حبيب في النجاة، فاعتصم بجبل منيع بنواحي بلنسية فبذل عَبْد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البربر وحمل رأسه إليه، فأعطاه ألف دينار وذلك سنة إثنتين وستين. وهم عَبْد الرحمن صاحب الأندلس أمر ذلك لغزو الشام من الأندلس على العدوة الشمالية لأخذ ثأره، فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الأنصاري في سرقسطة فشغلوه عما اعتزم عليه من ذلك.

غزو المهدي:

تجهز المهديّ سنة ثلاث وستين لغزو الروم، وجمع الأجناد من خراسان ومن الأفاق، وتوفي عمه عيسى بن علي آخر جمادى الأخيرة بعسكره، وسار من الغد واستخلف على بغداد إبنه موسى الهادي واستصحب هرون، ومرّ في طريقه بالجزيرة والموصل، فعزل عَبْد الصمد بن علي وحبسه ثم أطلقه سنة ست وستين. ولما جاز ببني مسلمة بن عَبْد الملك ذكره عمه العبّاس بما فعله مسلمة مع جدهم محمد بن عليّ، وكان أعطاه مرة في اجتيازه عليه ألف دينار، فاحضر المهدي ولد مسلمة ومواليه وأعطاهم

عشرين ألف دينار وأجرى عليهم الأرزاق، وعبر الفرات إلي حلب، فأقام بها وبعث إبنه

هرون للغزو وأجاز معه الدروب إلي جيحان مشيعاً، ولجث معه عسى بن موسى وعبد الملك بى صالح والحسن بن قحطبة والربيع بن يونس ويحيى بن خالد بن برمك، وكان إليه أمر العسكر والنفقات وحاصروا حصن سمالو أربعين يوماً ثم فتح بالأمان، وفتحوا بعده فتوحات كثيرة، وعادوا إلي المهديّ وقد أثخن في الزنادقة وقتل من كان في تلك الناحية منهم. ثم قفل إلي بغداد ومرّ ببيت المقدس وصلى في مسجده ورجع إلي بغداد.

العهد لهرون:

وفي سنة ست وستين أخذ المهديّ البيعة لابنه هارون بعد أخيه الهادي ولقبه الرشيد.

نكبة الوزير يعقوب بن داود:

كان أبو داود بن طهمان كاتباً لنصر بن سيار هو وأخوته، وكان شيعياً وعلى رأي الزيدية. ولما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكاتبه بأخبار نصر فأقصاه نصر، فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فأمنه في نفسه وأخذ ما اكتسبه من المال أيام نصر،وأقام بعد ذلك عاطلاً ونشأ له ولد أهل أدب وعلم وصحبوا أولاد الحسن. وكان داود يصحب إبراهيم بن عَبْد الله فورثوا ذلك عنه، ولما قتل إبراهيم طلبهم المنصور وحبس يعقوب وعلياً مع الحسن بن إبراهيم حتى توفي، وأطلقهما المهديّ بعده مع من أطلق. وداخله المهديّ في أمر الحسن لمّا فر من الحبس فكان ذلك سبباً لوصلته بالمهدي حتى استوزره، فجمع الزيدية وولاهم شرقاً وغرباً، وكثرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهديّ يقبل سعايتهم حتى يروا أنها قد تمكنت، فإذا غدا عليه تبسم وسأله.وكان المهدي مشتهراً بالنساء فيخوض معه في ذلك وفيما يناسبه ويتغلب برضاه، وسامره في بعض الليالي وجاء ليركب دابته وقد نام الغلام، فلما ركب نفرت الدابة من قعقعة ردائه فسقط ورمحته فانكسر، فانقطع عن المهدي وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحبس وحبس عماله وأصحابه. ويقال بل دفع إليه علوياً ليقتله فأطلقه، ونمي ذلك إلي المهدي فأرسل من أحضره، وقال ليعقوب أين العلوي؟ فقال: قتلته، فأخرجه إليه حتى رآه. ثم حبس في المطبق

ودلي في بئر فيه. وبقي أيام المهدي والهادي ثم أخرج وقد عمي وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له. وقيل في سبب تغيره إنه كان ينهى المهدي عن شرب أصحابه النبيذ عنده، ويكثر

عليه في ذلك ويقول: أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ !لا والله لا على هذا استوزرتني ولا عليه صحبتك!

مسير الهادي إلي جرجان:

وفي سنة سبع وستين عصى وتداهر من شرو بن ملكا طبرستان من الديلم، فبعث المهدي ولي عهده موسى الهادي، وجعل على جنده محمد بن حميد، وعلى حجابته نفيعاً مولى المنصور، وعلى حرسه عيسى بن ماهان، وعلى رسائله أبان بن صدقة. وتوفي أبان بن صدقة فبعث المهدي مكانه أبا خالد الأجرد فسار المهدي وبعث الجنود في مقدمته وأمّر عليهم يزيد، فحاصرهما حتى استقاما. وعزل المهدي يحيى الحريشيّ عن طبرستان وما كان إليه، وولّى مكانه عمر بن العلاء، وولّى على جرجان فراشة مولاه، ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحريشيّ في أربعين ألفاً إلي طبرستان.

العمال بالنواحي:

وفي سنة ثلاث وستين ولّى المهدي إبنه هرون على المغرب كله وأذربيجان وأرمينية، وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى، وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن برمك. وعزل زفر بن عاصم عن الجزيرة وولّى مكانه عَبْد الله بن صالح، وعزل معاذ بن مسلم عن خراسان وولّى مكانه المسيب بن زهير الضبي، وعزل يحيى الحريشيّ عن أصبهان وولّى مكانه الحكم بن سعيد، وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان وولّى مكانه عمر بن العلاء، ومهلهل بن صَفْوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد. وكان على الحجاز واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى الكوفة إسحق بن الصباح، وعلى البحرين والبصرة وفارس والأهواز محمد بن سليمان، فعزله سنة أربع وستين وولّى مكانه صالح بن داود.وكان على السند محمد بن الأشعث. وفي سنة خمس وستين عزل خلف بن عَبْد الله عن الري وولاها عيسى مولى جعفر، وولّى على البصرة روح بن حاتم، وعلى البحرين وعمان والأهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي. وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولّى مكانه أحمد بن إسمعيل. وفي سنة ست وستين

عزل عبيد الله بن حسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه. وولّى المهدي على قضائه أبا يوسف حين سار إلي جرجان. واضطربت في هذه السنة خراسان على المسيّب بن زهير فولاها أبا العبّاس الفضل بن سليمان الطوسي وأضاف إليه سجستان، فولى هو على سجستان سعيد بن دعلج. وولّى على المدينة إبراهيم ابن عمه، وعزل منصور بن يزيد عن اليمن وولّى مكانه عَبْد الله بن سليمان الربعي.وكان على مصر إبراهيم بن صالح، وتوفي في هذه السنة عيسى بن موسى بالكوفة وهي سنة سبع وستين. وعزل المهدي يحيى الحريشي عن طبرستان والرويان وما كان إليه، وولاه عمر بن العلاء وولّى على جرجان فراشة مولاه. وحج بالناس إبراهيم ابن عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج، فولى مكانه إسحق بن موسى بن علي وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثي وعلى اليمامة عَبْد الله بن مصعب الزبيري وعلى البصرة محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان التميمي وعلى الموصل أحمد بن إسمعيل الهاشمي. وقتل موسى بن كعب ووقع الفساد في بادية البصرة من الأعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة.

الصوائف:

وفي سنة تسع وخمسين أغزى المهدي عمه العباس بالصائفة وعلى مقدمته الحسن الوصيف، فبلغوا أهرة وفتحوا مدية أوهرة ورجعوا سالمين ولم يصب من المسلمين أحد. وفي سنة إحدى وستين غزا بالصائفة يمامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم مع ميخاييل في ثمانين ألفاً، ونزل عمق مرعش فقتل وسبى وغنم، وحاصر مرعش وقتل من المسلمين عدداً، وانصرف إلي جيحان، فكان عيسى بن علي مرابطاً بحصن مرعش، فعظم ذلك على المهدي وتجهز لغزو الروم. وخرجت الروم سنة إثنتين وستين إلي الحرث فهدموا أسوارها. وغزا بالصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتزقة فبلغ جهة أدرركبه، وأكثر التحريق والتخريق ولم يفتح حصناً ولا لقي

جمعاً ورجع بالناس سالماً.وغزا يزيد بن أسيد السلمي من ناحية قالقيلا فغنم وسبى وفتح ثلاثة حصون. ثم غزا المهدي بنفسه سنة ثلاث وستين كما مرّ. ثم غزا سنة أربع وستين عَبْد الكبير بن عَبْد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحرث فخرج إليه ميخاييل وطارد الأرمني البطريقان في تسعين ألفاً فخام عن لقائهم، ورجع بالناس فغضب عليه المهدي وهم بقتله فشفع فيه وحبسه. وفي سنة خمس وستين بعث المهدي ابنه هرون بالصائفة وبعث معه الربيع، فتوغل في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطاً من القواميس، فبارزه يزيد بن مزيد فهزمهم وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمشق صاحب المسالح، فحمل لهم مائتي ألف دينار وإثنتين وعشرين ألف درهم، وسار الرشيد بعساكره وكانت نحواً من مائة ألف، فبلغ خليج قسطنطينية وعلى الروم يومئذ غسطة امرأة إليون كافلة لابنها منه صغيراً، فجرى الصلح على الفدية وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في الطريق لأن مدخله كان ضيقاً مخوفاً فأجابت لذلك. وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة، ومدة الصلح ثلاث سنين. وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستمائة رأس، وقتل من الروم في وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون ألفاً ومن الأسرى ألفان. ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان وستين ولم يستكملوا مدته، بقي منها أربعة أشهر. وكان على الجزيرة وقنسرين علي بن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البطّال في عسكر فغنموا وسبوا وظفروا ورجعوا.

وفاة المهدي وبيعة الهادي:

وفي سنة تسع وستين اعتزم المهدي على خلع إبنه موسى الهادي من العهد، والبيعة للرشيد به، وتقديمه على الهادي، وكان بجرجان فبعث إليه بذلك فاستقدمه،

فضرب الرسول وامتنع، فسار إليه المهدي، فلما بلغ سبدان توفي هنالك. يقال مسموماً من بعض جواريه، ويقال سمت إحداهما الأخرى في كمثرى، فغلط وأكلها، ويقال حاز صيداً فدخل وراءه إلي خربة فدق الباب ظهره. وكان موته في المحرم، وصلى عليه إبنه الرشيد، وبويع ابنه موسى

الهادي لمّا بلغه موت أبيه وهو مقيم جرجان يحارب أهل طبرستان.وكان الرشيد لمّا توفي المهدي والعسكر بسبدان نادى في الناس بإعطاء

تسكيناً، وقسم فيهم مائتين مائتين، فلما استوفوها تنادوا بالرجوع إلي بغداد وتشايعوا إليها واستيقنوا موت المهدي، فأتوا باب الربيع وأحرقوه، وطالبوا بالأرزاق ونقبوا السجون.وقدم الرشيد بغداد في أثرهم، فبعثت الخيزران إلي الربيع، فامتنع يحيى خوفاً من غيرة الهادي، وأمرت الربيع بتسكين المجند فسكنوا، وكتب الهادي إلي الربيع يتهدده، فاستشار يحيى في أمره وكان يثق بودّه، فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل، ورضي الهادي عنه، وأخذت البيعة ببغداد للهادي.وكتب الرشيد بذلك إلي الآفاق، وبعث نصيراً الوصيف إلي الهادي بجرجان، فركب البريد إلي بغداد فقدمها في عشرين يوماً. فاستوزر الربيع، وهلك لمدة قليلة من وزارته. واشتد الهادي في طلب الزنادقة وقتلهم، وكان منهم عليّ بن يقطين ويعقوب بن الفضل من ولد ربيعة بن الحرث بن عَبْد المطلب، كان قد أقر بالزندقة عند المهدي إلا أنه كان مقسماً أن لا يقتل هاشمياً فحبسه وأوصى الهادي بقتله وبقتل ولد عمهم داود بن علي فقتلهما. (وأمَّا عماله) فكان على المدينة عمر بن عَبْد العزيز بن عبيد الله بن عَبْد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى مكة والطائف عَبْد الله بن قثم، وعلى اليمن إبراهيم بن مسلم بن قتيبة، وعلى اليمامة والبحرين سويد القائد الخراساني، وعلى عمان الحسن بن سليم الحواري، وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى، وعلى البصرة ابن سليمان، وعلى جرجان الحجاج مولى الهادي، وعلى قومس زياد بن حسان، وعلى طبرستان والرويان صالح بن عميرة مولى وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد، وعزله الهادي لسوء سيرته وولّى مكانه عَبْد الملك وصالح بن علي.(وأمَّا الصائفة) فغزا بها في هذه السنة وهي سنة تسع وستين معيوب بن يحيى، وقد كان الروم خرجوا مع بطريق لهم إلي الحرث فهرب الوالي ودخلها الروم وعاثوا فيها، فدخل معيوب وراءهم من درب الراهب، وبلغ مدينة أستة وغنم وسبى وعاد.

ظهور الحسين المقتول بفتح:

وهو الحسين بن علي بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط، كان الهادي

قد استعمل على المدينة عمر بن عَبْد العزيز كما مر فأخذ يوماً الحسن بن المهدي بن محمد بن عَبْد الله بن الحسين الملقب أبا الزفت، ومسلم بن جندب الهذلي الشاعر، وعمر بن سلام مولى العمريين على شراب لهم، فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال في أعناقهم، وجاء الحسين إليه فشفع فيهم وقال: ليس عليهم حد فإن أهل العراق لا يرون به بأساً وليس من الحد أن نطيفهم فحبسهم. ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عَبْد الله بن الحسن صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس.وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضاً ويعرضون، فغاب الحسن عن العرض يومين، فطلب به الحسين بن علي ويحيى بن عَبْد الله كافليه وأغلظ لهما، فحلف يحيى أنه يأتي به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به. وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم، وضرب يحيى على العمري في باب داره بالسيف، واقتحموا المسجد فصلوا الصبح، وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنة رسوله. وجاء خالد اليزيدي في مائتين من الجند والعمري وابن إسحق الأزرق ومحمد بن واقد في ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم في المسجد،واجتمع يحيى وإدريس بن عَبْد الله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس.وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفاً، واجتمعت شيعة بني العبّاس من الغد وقاتلوهم إلي الظهر وفشت الجراحات وافترقوا. ثم قدم مبارك التركي من الغد حاجاً فقاتل مع العبّاسية إلي منتصف النهار وافترقوا، وواعدهم مبارك الرواح إلي القتال، واستغفلهم وركب رواحله راجعاً واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا. ويقال إنّ مباركاً دس إلي الحسين بذلك تجافياً عن أذية، أهل البيت وطلب أن يأخذ له عذراً في ذلك بالبيات، فبيته الحسين واستطرد له راجعاً. وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة واحداً وعشرين يوماً آخر ذي القعدة، ولما بلغها نادى في الناس بعتق من أتى إليه من العبيد فاجتمع إليه جماعة.وكان قد حج تلك السنة رجال من بني العباس منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعبّاس بن محمد بن عليّ وموسى وإسمعيل أبناء عيسى بن موسى، ولما بلغ خبر الحسين إلي الهادي كتب إلي محمد بن سليمان

وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذ بهم عن البصرة خوف الطريق، فاجتمعوا بذي طوى وقدموا مكة فحلوا من العمرة التي كانوا أحرموا بها، وانضم إليهم من حج من شيعتهم

ومواليهم وقوادهم، واقتتلوا يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم ، وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه إلي مكة ولحقهم بذي طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادي من خلفهم بالبشارة، حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروباً على قفاه وجبهته، وجمعت رؤوس القتلى فكانت مائة ونيفاً وفيها رأس سليمان أخي المهدي بن عَبْد الله، واختلط المنهزمون بالحاج.وجاء الحسن بن المهدي أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعبّاس بن محمد، فأخذه موسى بن عيسى وقتله، وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادي لغضبه وقبض أمواله. وغضب على مبارك التركي وجعله سائس الدواب، فبقي كذلك حتى مات الهادي، وأفلت من المنهزمين إدريس بن عَبْد الله أخو المهدي فأنى مصر وعلي يريدها، وأصبح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع لآل عليّ فحمله على البريد إلي المغرب، ووقع بمدية وليلة من أعمال طنجة، واجتمع البريد على دعوته،وقتل الهادي وأصحابه بذلك وصلبه وكان لإدريس وابنه إدريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده.

حديث الهادي في خلع الرشد:

كان الهادي يبغض الرشيد بما كان المهدي أبوهما يؤثره، وكان رأى في منامه أنه دفع إليهما قضيبين فأورق قضيب الهادي من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله، وتأول ذلك بقصر مدة الهادي وطول مدة الرشيد وحسنها. فلما وليّ الهادي أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه، وفاوض في ذلك قواده، فأجابه يزيد بن مزيد وعلي بن عيسى وعبد الله بن مالك، وحرضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا نرضى به، ونهى الهادي أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس، وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادي بمداخلته، وبعث إليه وتهدده فحضر عنده مستميتا وقال: يا أمير المؤمنين أنت أمرتني بخدمته من بعد المهدي ! فسكن غضبه وقال له في أمر الخلع، فقال يا أمير المؤمنين أنت إن حملت الناس على نكث الإيمان فيه هانت عليهم فيمن توليه، وإن بايعت بعده كان ذلك أوثق للبيعة، فصدقه وسكت عنه.

وعاد أولئك الذين جفلوه من القواد والشيعة فأغروه بيحيى، وأنه الذي منع الرشيد من خلع نفسه، فحبسه الهادي فطلب الحضور للنصيحة، وقال له: يا أمير المؤمنين! أتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو صبي ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم، وتأمن أن يسموا إليها عند ذلك أكابر بيتك فتخرج من ولد أبيك، والله لو لم يعقده المهدي لكان ينبغي أن تعقده أنت له حذراً من ذلك، وإني أرى أن تعقده لأخيك، فإذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له، فقبل الهادي قوله وأطلقه. ولم يقنع القواد ذلك لأنهم كانوا حذرين من الرشيد في ذلك، وضيق عليه واستأذنه في الصيد فمضى إلي قصر مقاتل، ونكره الهادي وأظهر خفاءه وبسط الموالي والقواد فيه ألسنتهم.

وفاة الهادي وبيعة الرشيد:

ثم خرج الهادي إلي حديقة الموصل فمرض واشتدّ مرضه هنالك، واستقدم العمال شرقاً وغرباً. ولما ثقل تآمر القواد الذين بايعوا جعفراً في قتل يحيى بن خالد، ثم أمسكوا خوفا من الهادي. ثم توفي الهادي في شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وقيل توفي بعد أن عاد من حديقة الموصل. ويقال: إن أمه الخيزران وصت بعض الجواري عليه فقتلته لأنها كانت أول خلافته تستبد عليه بالأمور فعكف الناس واختلفت المواكب، ووجد الهادي لذلك فكلمته يوماً في حاجة فلم يجبها فقالت: قد ضمنتها لعبد الله بن مالك. فغضب الهادي وشتمه وحلف لا قضيتها فقامت مغضبة، فقال: مكانك وإلا انتفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لئن بلغني أن أحداً من قوادي وخاصتي وقف ببابك لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، ما للمواكب تغدو وتروح عليك؟ أمَّا لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك: إياك !لا تفتحي بابك لمسلم ولا ذمي فانصرفت وهي لا تعقل.ثم قال لأصحابه: أيكم يحب أن يتحدث الرجال. بخبر أمه، ويقال فعلت أم فلان وصنعت؟ فقالوا لا نحب ذلك. قال: فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون معها؟ فيقال: إنه لمّا جدّ في خلع الرشيد خافت عليه منه، فلما ثقل مرضه

وصت بعض الجواري فجلست على وجهه فمات، وصلى عليه الرشيد. وجاء هرثمة بن أعين إلي

الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة، وأحضر يحيى فاستوزره، وكتب إلي الأطراف بالبيعة. وقيل: إن يحيى هو الذي جاءه وأخرجه فصلى على الهادي ودفنه إلي يحيى وأعطاه خاتمه، وكان يحيى يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد. وعزل لأوّل خلافته عمر بن عَبْد العزيز العمريّ عن المدينة وولّى مكانه إسحق بن سليمان، وتوفي يزيد بن حاتم عامل إفريقية فولّى مكانه روح بن حاتم، ثم توفي فولّى مكانه إبنه الفضل، ثم قتل فولّى هرثمة بن أعين كما يذكر في أخبار إفريقية. وأفرد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها عمالة واحدة وسماها العواصم، وأمره بعمارة طرسوس ونزلها الناس. وحج لأول خلافته وقسم في الحرمين مالاً كثيراً.وأغزى بالصائفة سليمان بن عَبْد الله البكائي، وكان على مكة والطائف عَبْد الله بن قثم، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البحرين والبصرة واليمامة وعمان والأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علي، وعلى خراسان أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي، ثم عزله وولّى مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث. فسار إلي خراسان وبعث إبنه العباس إلي كابل فافتتحها وافتتح سابها وغنم ما كان فيها. ثم استقدمه الرشيد فعزله، وولّى مكانه ابنه العباس، وكان على الموصل عَبْد الملك بن صالح فعزله وولّى مكانه إسحق بن محمد بن فروح، فبعث إليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره إلي بغداد وقتله، وولّى مكان وكان على أرمينية يزيد بن مزيد بن زائدة ابن أخي معن فعزله وولّى مكانه أخاه عَبْد الله بن المهدي.وولّى سنة إحدى وسبعين على صدقات بني ثغلب روح بن صالح الهمداني، فوقع بينه وبين تغلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيتوه وقتلوه في جماعة من أصحابه. وتوفي سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان والي البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد، وأنه يحدث نفسه بالخلافة وأن أمواله كلها فيء من أموال المسلمين،

فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها، وكان لا يعبر عنها من المال والمتاع والدواب، وأحضروا من العين فيها ستين ألف ألف دينار. ولم يكن إلا أخوه جعفر فاحتج عليه الرشيد بإقراره أنها فيء. وتوفي سنة أربع وسبعين والي الرشيد إسحق بن سليمان على السّند ومكران، واستقضى يوسف بن أبي يوسف في حياة أبيه، وفي سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زبيدة ولاية العهد ولقبه الأمين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جعفر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى، وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان وولاها خاله الغطريف بن عطاء الكندي.

خبر يحيي في عَبْد الله في الديلم :

وفي سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عَبْد الله بن حسن أخو المهدي بالديلم واشتدت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الأمصار، فندب إليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألفاً وولاه جرجان وطبرستان والري وما إليها، ووصل معه الأموال. فسار ونزل بالطالقان وكاتب يحيى وحذره وبسط أمله، وكتب إلي صاحب الديلم في تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف ألف درهم، فأجاب يحيى على الأمان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة وأجلة بني هاشم ومشايخهم عن عَبْد الصمد منهم، فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع الهدايا والتحف. وقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده. ثم إن الرشيد حبس يحيى إلي أن هلك في حبسه.

ولاية جعفر بن يحيي مصر.

كان موسى بن عيسى قد ولاه الرشيد مصر، فبلغه أنه عازم على الخلع فرد أمرها إلي جعفر بن يحيى، وأمره بإحضار عمر بن مهران وأن يوليه عليها، وكان أحول مشوه الخلق خامل البزة يردف غلامه خلفه. فلما ذكرت له الولاية قال على شرطية أن يكون أمري بيدي إذا صلحت البلاد انصرفت فأجابه إلي ذلك. وسار إلي مصر وأتى مجلس موسى فجلس في أخريات الناس ، حتى إذا افترقوا رفع الكتاب إلي موسى فقرأه وقال: متى يقدم أبو

حفص؟ فقال: أنا أبو حفص ! فقال موسى: لعن الله فرعون حيث قال: أليس لي ملك مصر، ثم سلم له العمل. فتقدم عمر إلي كاتبه أن لا

يقبل من الهدية إلا ما يدخل في الكيس، فبعث الناس بهداياهم وكانوا يمطلون بالخراج. فلما حضر النجم الأول والثاني وشكوا الضيق في الثالث أحضر الهدايا وحسبها لأربابها واستوفى خراج مصر ورجع إلي بغداد.

الفتنة بدمشق:

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية، ورأس المضرية أبو الهيدام عامر بن عمارة من ولد خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري، وكان أصل الفتنة بين القيس وبين اليمانية أن اليمانية قتلوا منهم رجلاً فاجتمعوا لثأره، وكان على دمشق عَبْد الصمد بن علي، فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم فأمهلتهم اليمانية وبيتوا المضرية فقتلوا منهم ثلثمائة أو ضعفها، فاستجاشوا بقبائل قضاعة وسليم فلم ينجدوهم وأنجدتهم قيس، وساروا معهم إلي البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وطال الحرب بينهم. وعزل عَبْد الصمد عن دمشق وولّى مكانه إبراهيم بن صالح بن عليّ. ثم أصلحوا بعد سنين ووفد إبراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليمانية فوقع في قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عَبْد الواحد بن بشر استخلف إبراهيم على دمشق ابنه إسحق، فحبس جماعة من قيس وضربهم.ثم وثبت غسان برجل من ولد قيس بن العبسي فقتلوه، واستنجد أخوه بالدواقيل من حوران فأنجدوه وقتلوا من اليمانية نفراً. ثم وثبت اليمانية بكليب بن عمر بن الجنيد بن عَبْد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوهم، فجاءت أم الغلام سابة إلي أبي الهيدام، فقال انظريني حتى ترفع دماؤنا إلي الأمير، فإن نظر فيها وإلا فأمير المؤمنين ينظر فيها. وبلغ ذلك إسحق وحضر عنده أبو الهيدام فلم يأذن له. ثم قتل بعض الدواقيل رجلاً من اليمانية، وقتلت اليمانية رجلاً من سليم ونهبوا جيران محارب، وركب أبو الهيدام معهم إلي إسحق فوعده بالنظر لهم، وبعث إلي اليمانية يغريهم به فاجتمعوا وأتوا إلي باب الجابية، فخرج إليهم أبو الهيدام وهزمهم واستولى على دمشق وفتح السجون.ثم اجتمعت اليمانية واستنجدوا كلباً وغيرهم فاستمدوهم، واستجاش أبو الهيدام المضرية فجاؤه وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فهزمهم أربع مرات. ثم أمره إسحق بالكف، وبعث إلي اليمانية يخبرهم بغرته وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم، ثم هزمهم أخرى على باب توما. ثم جمعت اليمانية

أهل الأردن والجولان من كلب وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطؤا ودخل المدينة فأرسل إسحق من دلهم على مكمنه وأمرهم بالعبور إلي

المدينة، فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا. ولما كان مستهل صفر جمع إسحق الجنود عند قصر الحجاج، وجاء أصحاب الهيدام من أراد نهب القرى التي لهم بنواحى دمشق، ثم سألوا الأمان من أبي الهيدام فأمنهم وسكن الناس.

وفرق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق، فطمع فيه إسحق وسلط عليه العذافر السكسكي مع الجنود فقاتلهم، فانهزم العذافر وبقي الجند يحاربونه ثلاثاً. ثم إن إسحق قاتله في الثالثة والجند في إثني عشر ألفاً ومعهم اليمانية، فخرج أبو الهيدام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه. ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لأبي الهيدام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأحرقوا قرى وديارا للليمانية في الغوطة، ثم توادعوا سبعين يوماً أو نحوها. وقدم السّندي في الجنود من نجل الرشيد، وأغزته اليمانية بأبي الهيدام فبعث هو إليه بالطاعة، فأقبل السّندي إلي دمشق، وإسحاق بدار الحجاج، وبعث قائده في ثلاثة آلاف وأخرج إليهم أبو الهيدام ألفاً، وأحجم القائد عنهم ورجع إلي السّندي فصالح أبا الهيدام وأمن أهل دمشق.وسار أبو الهيدام إلي حوران، وأقام السندي بدمشق ثلاثاً. وقدم موسى بن عيسى والياً عليها، فبعث الجند يأتونه بأبي الهيدام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبده فانهزموا، وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بصرى. ثم بعث إليه موسى فسار إليه في رمضان سنة سبع وسبعين، وقيل إن سبب الفتنة بدمشق أن عامل الرشيد بسجستان قتل أخاه الهيدام فخرج هو بالشام وجمع الجموع. ثم بعث الرشيد أخاً له ليأتيه به فتحيل حتى قبض عليه وشده وثاقاً وأتى به إلي الرشيد فمن عليه وأطلقه. وبعث جعفر بن يحيى سنة ثمانين إلي الشام من أجل هذه الفتن والعصبية، فسكن الثائرة وأمن البلاد وعاد.

فتنة الموصل ومصر:

وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطاف بن سفيان الأزدي على خراسان، وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العباس الهاشمي وقيل عَبْد الملك بن صالح، فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل، وجبى الخراج وبقي العامل معه

مغلباً إلي أن سار الرشيد إلي الموصل وهدم سورها ولحق العطاف بأرمينية ثم بالرقم فاتخذها وطناً. وفي سنة ثمان وسبعين

ثارت الحوفية بمصر، وهم من قيس وقضاعة على عاملها إسحق بن سليمان وقاتلوه. وكتب الرشيد إلي هرثمة بن أعين وكان بفلسطين فسار إليهم وأذعنوا بالطاعة، وولّي على مصر ثم عزله لشهر، وولّى عَبْد الملك بن صالح عليها.كان على خراسان أيام المهدي والهادي أبو الفضل العبّاس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد، وولّى على خراسان جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، فأبوه من النقباء من أهل مصر، وقدم ابنه العباس سنة ثلاث وسبعين، ثم قدم فغزا طخارستان، وبعث ابنه العباس إلي كابل في الجنود وافتتح سابهار ورجع إلي مرو. ثم سار إلي العراق سنة ثلاث في رمضان، وكان الأمين في حجره قبل أن يجعله في حجر الفضل بن يحيى.ثم ولّى الرشيد ابنه العباس بن جعفر ثم عزله عنها فولّى خالداً الغطريف بن عطاء الكندي سنة خمس وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان فقدم خليفة داود بن يزيد وبعث عامل سجستان. وخرج في أيامه حصين الخارجي من موالي قيس بن ثعلبة من أهل أوق، وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش إليه فهزمهم حسين وقتل منهم وسار إلي باذغيس وبوشنج وهراة، فبعث إليه الغطريف إثني عشر ألفاً من الجند فهزمهم حصين وقتل منهم خلقاً، ولم يزل في نواحي خراسان إلي أن قتل سنة سبع وسبعين. وسار الفضل إلي خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين، ثم ولّى الرشيد على خراسان علي بن عيسى بن ماهان وقدم إليه يحيى فأقام بها عشرين سنة. وخرج عليه في ولايته حمزة بن أترك وقصد بوشنج، وكان على هراة عمرويه بن يزيد الأزدي فنهض إليه في ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل جماعة منهم ومات عمرويه في الزحام، فبعث عليّ بن عيسى ابنه الحسن في عشرة آلاف ففض حربه فعزله، وبعث إبنه الآخر عيسى فهزمه حمزة فأمده بالعساكر ورده فهزم حمزة وقتل أصحابه، ونجا إلي قهستان في أربعين. وأثخن عيسى في الخوارج بارق وجوين وفيمن كان يعينهم من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفاً.وخلف عَبْد الله بن العباس النسيقي بزرنج فجبى الأموال وسار بها ومعه الصفة، ولقيه حمزة

فهزموه وقتلوا عامة أصحابه. وسار حمزة في القرى فقتل وسبى، وكان علي قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فخرج إلي حمزة وقصد قرية ففر الخوارج وهم الذين يرون التحكم ولا يقاتلون، والمحكمة هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم إلا الله. فكتب العقد إلي حمزة بالكف وواعدهم، ثم انتفض وعاث في البلاد وكانت بينه وبين أصحاب علي حروب كثيرة.ثم ولى الرشيد سنة إثنتين وثمانين ابنه عَبْد الله العهد بعد الأمين ولقبه المأمون، وولاه على خراسان وما يتصل بها إلي همذان، واستقدم عيسى بن علي من خراسان وردها إليه من قبل المأمون. وخرج عليه بنسا أبو الخصيب وهب بن عَبْد الله النسائي، وعاث في نواحي خراسان ثم طلب الأمان فأمنه. ثم بلغه أن حمزة الخارجي عاث بنواحي باذغيس فقصده وقتل من أصحابه نحواً من عشرة آلاف وبلغ كل من وراء غزنة. ثم غدر أبو الخصيب ثانية وغلب أبيورد ونساوطوس ونيسابور، وحاصر مرو وانهزم عنها وعاد إلي سرخس، ثم نهض إليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله في نسا وسبى أهله. ثم نمي إلي الرشيد سنة تسع وثمانين أن علي بن عيسى مجمع على الخلاف وأنه قد أساء السيرة في خراسان وعنفهم، وكتب إليه كبراء أهلها يشكون بذلك، فسار الرشيد إلي الري فأهدى له الهدايا الكثيرة والأموال ولجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقوّاده. وتبين للرشيد من مناصحته خلاف ما إنتهى إليه. فرده إلي خراسان، وولّي على الري وطبرستان ودنباوند وقومس وهمذان وبعث علي ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثمانين فهزمه وأسر أخوته، وانتقض على علي بن عيسى رافع بن الليث بن نصر بن سمار بسمرقند، وطالت حروبه معه، وهلك في بعضها إبنه عيسى.ثم إن الرشيد نقم على علي بن عيسى أموراً منها استخفافه بالناس وإهانته أعيانهم، ودخل عليه يوماً الحسين بن مصعب والد طاهر فأغلظ له في القول وأفحش في السب والتهديد وفعل مثل ذلك بهشام بن فأما الحسين فلحق بالرشيد شاكياً ومستجيراً وأمَّا هشام فلزم بيته وادعى أنه بعلة الفالج حتى عزل عليّ، وكان مما نقم عليه أيضاً أنه لمّا قتل إبنه عيسى في حرب رافع بن الليث أخبر بعض جواريه أنه دفن في بستانه ببلخ ثلاثين ألف

دينار، وتحدث الجواري بذلك فشاع في الناس ودخلوا البستان ونهبوا المال، وكان يشكو إلي الرشيد بقلة المال ويزعم أنه باع حلي نسائه.فلما سمع الرشيد هذا المال استدعى هرثمة بن أعين وقال له: وليتك خراسان وكتب له بخطه وقال له: اكتم أمرك وامض كأنك مددُ، وبعث معه رجاء الخادم فسار إلي نيسابور وولّى أصحابه فيها، ثم سار إلي مرو ولقي علي بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وبعث إلي الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث إليه بعلي بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء، وخرج هرثمة إلي ما وراء النهر وحاصر رافع بن الليث بسمرقند إلي أن استأمن فأمنه، وأقام هرثمة بسمرقند وكان قدم مرو سنة ثلاث وتسعين.

إيداع كتاب العهد:

وفي سنة ست وثمانين حج الرشيد وسار من الأنبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم، وكان قد ولّى الأمين العهد وولاه العراق والشام إلي آخر الغرب. وولّى المأمون العهد بعده وضم إليه من همذان إلي آخر المشرق، وبايع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه وإثباته للمأمون. وجعل في حجر عَبْد الملك صالح وضم إليه الجزيرة والثغور والعواصم.ومرّ بالمدينة فأعطاه فيها ثلاثة أعطية: عطاء منه ومن الأمين ومن المأمون، فبلغ ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. ثم سار إلي مكة فأعطى مثلها، وأحضر الفقهاء والقضاة والقوّاد وكتب كتاباً أشهد فيه على الأمين بالوفاء للمأمون، وآخر على المأمون بالوفاء للأمين، وعلق الكتابين في الكعبة وجدّد عليها العهود هنالك.ولما شخص إلي طبرستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من حضره أن جميع ما في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع للمأمون، وجدّد له البيعة عليهم وأرسل إلي بغداد فجدّد له البيعة على الأمين.

البرامكة

أخبار البرامكة ونكبتهم

قد تقدم لنا أن خالد بن برمك كان من كبار الشيعة، وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام، وولاه المنصور على الموصل وعلى أذربيجان، وولىّ ابنه

يحيى على أرمينية، ووكله المهدي بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه الهادي أراده على الخلع، وتولية العهد ابنه وحبسه الهادي لذلك. فلما ولي الرشيد استوزر يحيى وفوض إليه أمور ملكه وكان أولاً يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد، ثم استبد بالدولة. ولما ماتت وكان بيتهم مشهوراً بالرجال من العمومة والقرابة، وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم في عمل الدولة واستولوا على حظ من تقريب السلطان واستخلا صه.وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمه الرشيد وأرضعته الخيزران، وكان يخاطب يحيى يا أبت، واستوزر الفضل وجعفراً وولىّ جعفراً على مصر وعلى خراسان وبعثه إلي الشام عندما وقعت الفتنة بين المضرية واليمانية فسكن الأمور، ورجع. وولىّ الفضل أيضاً على مصر وعلى خراسان وبعثه لاستنزال يحيى بن عَبْد الله العلوي من الديلم. ودفع المأمون لمّا ولاه العهد إلي كفالة جعفر بن يحيى، فحسنت آثارهم في دلك كله، ثم عظم سلطانهم واستيلاؤهم على الدولة، وكثرت السعاية فيهم. وعظم حقد الرشيد على جعفر منهم، يقال بسبب أنه دفع إليه يحيى بن عَبْد الله لمّا استنزله أخوه الفضل من الديلم وجعل حبسه عنده، فأطلقه استبداداً على السلطان ودالة وأنهى الفضل بن الربيع ذلك إلي الرشيد فسأله فصدقه الخبر فأظهر له التصويب وحقدها عليه، وكثرت السعاية فيهم فتنكر له الرشيد.ودخل عليه يوماً يحيى بن خالد بغير إذن فنكر ذلك منه، وخاطب به طبيبه جبريل بن بختيشوع منصرفاً به من مواجهته وكان حاضراً، فقال يحيى: هو عادتي يا أمير المؤمنين، وإذ قد نكرت مني فسأكون في الطبقة التي تجعلني فيها! فاستحيى هرون وقال: ما أردت ما يكره. وكان الغلمان يقومون بباب الرشيد ليحيى إذا دخل، فتقدم لهم مسرور الخادم بالنهي عن ذلك فصاروا يعرضون عنه إذا أقبل، وأقاموا على ذلك زماناً. فلما حج الرشيد سنة سبع وثمانين ورجع من حجه ونزل الأنبار أرسل مسروراً الخادم في جماعة من الجند ليلاً فأحضر جعفراً بباب الفسطاط، وأعلم الرشيد فقال: إئتني برأسه، فطفق جعفر يتذلل ويسأله المراجعة في أمره حتى قذفه الرشيد بعصا كانت في يده وتهدده فخرج وأتاه برأسه، وحبس الفضل من ليلته وبعث من احتياط على منازل يحيى وولده وجميع موجودهم

وحبسه في منزله.وكتب من ليلته إلي سائر النواحي بقبض أموالهم ورقيقهم، وبعث من الغد بشلو جعفر وأمر أن يقسم قطعتين وينصبان على الجسر، وأعفى محمد بن خالد من النكبة ولم يضيق على يحيى ولا بنيه الفضل ومحمد

وموسى. ثم تجردت عنه التهمة بعبد الملك بن صالح بن علي وكانوا أصدقاء له، فسعى فيه إبنه عَبْد الرحمن بأنه يطلب الخلافة فحبسه عنه الفضل بن الربيع ثم أحضره من الغداة وقرعه ووبخه فأنكر وحلف واعترف لحقوق الرشيد وسلفه عليه، فأحضر كاتبه شاهداً عليه فكذبه عَبْد الملك، فأحضر ابنه عَبْد الرحمن فقال: هو مأمور معذور، أو عاق فاجر، فنهض الرشيد من مجلسه وهو يقول سأصبر حتى أعلم ما يرضي الله فيك، فإنه الحكم بيني وبينك، فقال عَبْد الملك: رضيت بالله حكماً وبأمير المؤمنين حاكماً فإنه لا يؤثر هواه على رضا ربه.ثم أحضره الرشيد يوماً آخر فأرعد له وأبرق، وجعل عَبْد الملك يعدد وسائله ومقاماته في طاعته ومناصحته، فقال له الرشيد لولا إبقائي على بني هاشم لقتلتك ورده إلي محبسه، وكلمه عَبْد الله بن مالك فيه وشهد له بنصحه فقال: أطلقه إذا قال: أمَّا في هذا القرب فلا! ولكن سهل حبسه ففعل وأجرى عليه مؤنه حتى مات الرشيد وأطلقه الأمين. وعظم حقده على البرامكة بسبب ذلك، فضيق عليهم وبعث إلي يحيى يلومه فيما سترعنه من أمر عَبْد الملك. فقال: يا أمير المؤمنين كيف يطلعني عَبْد الملك على ذلك وأنا كنت صاحب الدولة، وهل إذا فعلت ذلك يجازيني بأكثر من فعلك؟ أعيذك بالله أن تظن هذا الظن ألا أنه كان رجلاً متجملاً يسرني أن يكون في بيتك مثله، فوليته ولا خصصته. فعاد إليه الرسول يقول: إن لم تقر قتلت الفضل إبنك. فقال: أنت مسلط علينا فافعل ما أردت.وجذب الرسول الفضل وأخرجه، فودع أباه وسأله في الرضا عنه فقال: رضي الله عنك. وفرق بينهما ثلاثة أيام ولم يجد عندهما شيئاً فجمعهما واحتفظ إبراهيم بن عثمان بن نهيك لقتل جعفر فكان يبكيه ويبكي قومه حزناً عليهم. ثم انتهى به إلي طلب الثأر بهم، فكان يشرب النبيذ مع جواريه ويأخذ سيفه وينادي واجعفراه واسيداه والله لأثأرن بك ولأقتلن قاتلك، فجاء إبنه وحفص كان مولاه إلي الرشيد فأطلعاه على أمره، فأحضر إبراهيم وأظهر له الندم على قتله جعفراً والأسف عليه، فبكى إبراهيم وقال: والله يا سيدي لقد أخطات في قتله فانتهره الرشيد وأقامه. ثم دخل عليه إبنه بعد ليال قلائل فقتله، يقال بأمر الرشيد. وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفه ولم يزل بها كذلك إلي أن مات سنة تسعين ومائة، ومات بعده ابنه

الفضل سنة ثلاث وتسعين. وكانت البرامكة من محاسن العالم، ودولتهم من أعظم الدول، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها.

الصوائف وفتوحاتها:

كان الرشيد على ما نقله الطبري وغيره يغزو عاماً ويحج عاماً، ويصلي كل يوم مائة ركعة ويتصدق بألف درهم، وإذا حج حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم، وإذا لم يحج أنفق على ثلثمائة حاج نفقة شائعة. وكان يتحذى بآثار المنصور إلا في بذل المال فلم ير خليفة قبله أبذل منه للمال. وكان إذا لم يغز غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقوّاده، فغزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عَبْد الله البكائي، وقيل غزا بنفسه. وغزا بالصائفة سنة إثنتين وسبعين إسحق بن سليمان بن علي فأثخن في بلاد الروم وغنم وسبى. وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عَبْد الملك بن صالح، وقيل أبوه عَبْد الملك فبلغ في نكاية الروم ما شاء، وأصابهم برد شديد سقطت منه أيدي الجند. ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عَبْد الرزاق بن عَبْد الحميد الثغلبي. وفي سنة ثمان وسبعين زفر بن عاصم. وغزا سنة إحدى وثمانين بنفسه فافتتح حصن الصفصاف وأغزى عَبْد الملك بن صالح فبلغ أنقرة، وافتتح مطمورة. وكان الفداء بين المسلمين والروم، وهو أول فداء في دولة بني العبّاس، وتولاه القاسم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها وهو أبو سليمان فرج، فنزل المدامس على إثني عشر فرسخاً، وحضر العلماء والأعيان وخلق من أهل الثغور وثلاثون ألفاً من الجند المرتزقة فحضروا هنالك وجاء الروم بالأسرى ففودي بهم من كان لهم من الأسرى، وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة. وغزا بالصائفة سنة إثنتين وثمانين عَبْد الرحمن بن عَبْد الملك بن صالح دقشوسوس مدينة أصحاب الكهف، وبلغهم أن الروم سموا ملكهم قسطنطين بن إليون وملكوا أمه ربى وتلقب عطشة، فأثخنوا في البلاد ورجعوا.وفي سنة ثلاث وثمانين حملت إبنة خاقان ملك الخزر إلي الفضل بن يحيى فماتت ببردعة، ورجع من كان معها فأخبروا أباها أنها قتلت غيلة، فتجهز إلي بلاد الإِسلام، وخرج من باب الأبواب وسبى أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا ما لم يسمع بمثله. فولى الرشيد يزيد بن مزيد أمر أرمينية مضافة إلي أذربيجان وأمره

بالنهوض إليهم، وأنزل خزيمة بن خازم بنصيبين رداً لهم. وقيل إن سبب خروجهم أن سعيد بن مسلم قتل الهجيم السلمي فدخل إبنه إلي الخزر مستجيشاً بهم على سعيد، ودخلوا أرمينية وهرب سعيد والخزر ورجعوا.وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وجعله قرباناً لله، وولاه العواصم، فأناخ على قرة، وضيق عليها وبعث عليها ابن جعفر بن الأشعث، فحاصر حصن سنان حتى جهد أهله، وفادى الروم بثلثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم وتم بينهم الصلح، ورحل عنهم، وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني وقد تقدم ذكره، فخلعه الروم وملكوا نيقفور وكان على ديوان خراجهم، ومات زيني بعد خمسة أشهر. ولما ملك نيقفور كتب إلي الرشيد بما استفزه، فسار إلي بلاد الروم غازياً. ونزل هرقل وأثخن في بلادهم حتى سأل نيقفور الصلح، ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب، وظن نيقفور أن ذلك يمنعه من الرجوع فلم يمنعه، ورجع حتى أثخن في بلاده، ثم خرج من أرضهم.وغزا بالصائفة سنة ثمان وثمانين إبراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفصاف، فخرج إليه نيقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحواً من أربعين ألفاً. وفي هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد أبق.. وفي سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالري كتب الأمان لشروين أبي قارن وندا هرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم، وبعث بالكتب مع حسين الخادم إلي طبرستان، فقدم خستان ووندا هرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن إليهما. وضمن وندا هرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه الهادي لهما وحاصرهما.وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم إلا فردي، وفي سنة تسعين سار الرشيد إلي بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر نيقفور، في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة، سوى الأتباع والمتطوعة ومن ليس له ذكر في الديوان، واستخلف المأمون

بالرقة وفوض إليه الأمور، وكتب إلي الآفاق بذلك، فنزل على هرقل فحاصرها ثلاثين يوماً وافتتحها وسبى أهلها وغنم ما فيها، وبعث داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفاً غازياً في أرضهم، ففتح الله عليه وخرب ونهب ما شاء. وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة وديسة. وافتتح يزيد بن مخلد حصن الصفصاف وقونية، وأناخ عَبْد الله بن مالك على حصن ذي الكلاع.واستعمل الرشيد حميد بن معيوب على الأساطيل ممن بسواحل الشام ومصر إلي قبرس، فهزم وخرق وسبى أهلها نحواً من سبعة عشر ألفاً وجاء بهم إلي الواقعة فبايعوا بها. وبلغ فداء أسقف قبرس ألفي دينار. ثم سار الرشيد إلي حلوانة فنزل بها وحاصرها، ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر. وبعث يقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير، وعن إبنه دينارين وعن بطارقته كذلك. وبعث يقفور في جارية من بني هرقلة وكان خطبها إبنه فبعث بها إليه. ونقض في هذه السنة قبرس فغزاهم معيوب بن لحمى فأثخن فيهم وسباهم. ولما رجع الرشيد من غزاته خرجت الروم إلي عين زربة والكنيسة السوداء وأغاروا ورجعوا، فاستنقذ أهل المصيصة ما حملوه من الغنائم.

وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم في عشرة آلاف، فأخذت الروم عليه المضايق، فانهزم وقتل في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس. واستعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل أن يوليه خراسان، وضم إليه ثلاثين ألفاً من أهل خراسان وأخرجه إلي الصائفة، وسار بالعساكر الإِسلامية في أثره، ورتب بدرب الحرث عَبْد الله بن مالك، وبمرعش سعيد بن مسلم بن قتيبة، وأغارت الروم عليه فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك من مكانه. وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد إلي طرسوس، وأقام هو بدرب الحرث، وأمر قواده بهدم الكنائس في جميع الثغور. وأخذ أهل الذمة بمخالفة زي المسلمين في ملبوسهم.

وأمر هرثقة ببناء هرطوس وتولى ذلك فخرج الخادم بأمر الرشيد وبعث إليها جنداً من خراسان ثلاثة أيام، وأشخص إليهم ألفاً من أهل المصيصة وألفاً من أنْطاكِية فتم بناؤها سنة إثنتين وتسعين. وفي هذه السنة تحركت الخرمية بناحية أذربيجان فبعث إليهم عَبْد الله بن مالك في عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر، ووافاه بقرمالين فأمره بقتل الأسرى وبيع السبي. وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالك الخزاعي فافتتح مطمورة وكان الفداء على يديه بالبرذون. ثم كان الفداء الثاني وكان عدة أسرى المسلمين فيه ألفين وخمسمائة.

الولاية على النواحى

كان على إفريقية مزيد بن حاتم كما قدمناه، ومات سنة إحدى وسبعين بعد أن استخلف ابنه داود، فبعث الرشيد على إفريقية أخاه روح بن حاتم فاستقدمه من فلسطين وبعثه إلي إفريقية. وعزل أبا هريرة محمد بن فروج عن الجزيرة وقتله وولى مكانه وفي سنة ست وسبعين ولى الرشيد على الموصل الحكم بن سليمان، وقد كان خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين وغنم وسار إلي داريا وآمد وأرزق وخلاط فقفل لذلك ورجع إلي نصيبين فأتى الموصل وخرج إليه الفضل في عساكرها فهزمهم على الزاب. ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه. وفي سنة ست وسبعين مات روح بن حاتم بإفريقية، واستخلف حبيب بن نصر المهلبي فسار الفضل إلي الرشيد فولاه على إفريقية، وعاد إليها فاضطرب عليه الخراسانية من جند إفريقية ولم يرضوه، فولى مكانه هرثمة بن أعين وبعث في العساكر فسكن الاضطراب ورأى ما بإفريقية من الاختلاف فاستعفى الرشيد من ولايتها فاعفاه، وقدم إلي العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه.وفي هذه ولى الفضل بن يحيى على مصر مكان أخيه جعفر مضافاً إلي ما بيده من الري وسجستان وغيرهما، ثم عزله عن مصر وولّى عليها إسحق بن سليمان، فثارت به الجوقية من مصر وهم جموع من قيس وقضاعة فأمده بهرثمة بن أعين فأذعنوا، وولاه عليهم شهراً، ثم عزله وولى عَبْد الملك بن

صالح مكانه، وفيها فوض أمر دولته إلي يحيى بن خالد. وفي سنة ثمانين بعث جعفر بى يحيى إلي الشام في القواد والعساكر ومعه السلاح والأموال والعصبية التي كانت بها فسكنت الفتنة ورجع فولاه خراسان وسجستان، فاستعمل عليها عيسى بن جعفر، وولى جعفر بن يحيى المُريس.وقدم هرثمة بن أعين من إفريقية فاستخلفه جعفر على الحرد وعزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان وولاها عَبْد الله بن حازم، وولّى على الجزيرة سعيد بن مسلم، وولّى على الموصل يحيى بن سعيد الحرشيّ فأساء السيرة وطالبهم بخراج سنين ماضية، فانجلا أكثر أهل البلد، وعزله الرشيد وولّى عليها يحيى بن خالد. وفي سنة إحدى وثمانين ولى على إفريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي وكان أبوه من قواد الشيعة، ومحمد رضيع الرشيد وتلاده، فلما استعفى هرثمة ولاه مكانه، واضطربت عليه إفريقية، وكان إبراهيم بن الأغلب بها والياً على الزاب، وكان جند إفريقية يرجعون إليه، فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه، فكرهوا ولاية محمد بن مقاتل، وحملوا إبراهيم بن الأغلب على أن كتب إلي الرشيد يطلب ولاية إفريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر معونة إلي والي إفريقية، ويحمل هو كل سنة أربعين.ألف دينار. فاستشار الرشيد بطانته، فأشار هرثمة بإبراهيم بن الأغلب، وولاه الرشيد في محرم سنة أربعة وثمانين، فضبط الأمور وقبض على المؤمنين وبعث بهم إلي الرشيد، فسكنت البلاد.وابتنى مدينة بقرب القيروان سماها العباسية وانتقل إليها بأهله وخاصته وحشمه، وصار ملك افريقية في عقبه كما يذكر في أخبارها إلي أن غلبهم عليها الشيعة العبيديون. وكان يزيد بن مزيد على أذربيجان فولاه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمينية مضافة إليها، وولى خزيمة بن خازم على نصيبين. وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكة حماداً البربري، وعلى السند داود بن يزيد بن حاتم، وعلى الجبل يحيى الحرشي، وعلى طبرستان مهرويه الزاي، وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين، فولى مكانه عَبْد الله بن سعيد الحرشي.وفيها توفي يزيد بن زائدة الشيطاني ببردعة، وكان على أذربيجان وأرمينية فولى مكانه

إبنه أسد بن يزيد بن حاتم. وفي سنة تسع وثمانين سار الرشيد إلي الري وولى على طبرستان والري ودنباوند

وقوس وهمذان عَبْد الملك بن مالك. وفي سنة تسعين ولى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم، وقد تقدم لنا ولاية هرثمة على سليمان ونكبة علي بن عيسى. وفي سنة إحدى وتسعين ظفر حماد البربري بهيصيم اليماني وجاء به إلي الرشيد فقتله، وولى في هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان، وكان على مكة الفضل بن العباس أخي المنصور والسفّاح.

خلع رافع بن الليث بما وراء النهر:

كان رافع بن نصر بن سيار من عظماء الجند فيما وراء النهر، وكان يحيى بن الأشعث قد تزوج ببعض النساء المشهورات الجمال، وتسرى عليها وأكثر ضرارها وتشوقت إلي التخلص منه، فدس إليها رافع بن الليث بأن تحاول من يشهد عليها بالكفر لتخلص منه وتحل للأزواج ثم ترجع وتتوب، فكان وتزوجها. وشكا يحيى بن الأشعث إلي الرشيد وأطلعه على جل الأمر، فكتب إلي علي بن عيسى أن يفرق بينهما ويقيم الحد على رافع ويطوف به في سمرقند مقيداً على حمار ليكون عظة لغيره، ففعل ذلك ولم يجده رافع وحبس بسمرقند، فهرب من الحى ولحق بعلي بن عيسى في بلخ فهم بضرب عنقه، فشفع فيه إبنه عيسى، فأمره بالانصراف إلي سمرقند، فرجع إليها ووثب بعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين. فبعث علي لحربه إبنه عيسى فلقيه رافع وهزمه وقتله، فخرج علي بن عيسى لقتله وسار من بلخ إلي مرو مخافة عليها من رافع بن الليث.ثم كانت نكبة علي بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين على خراسان، وكان مع رافع بن الليث جماعة من القواد، ففارقوه إلي هرثمة. منهم عجيف بن عنبسة وغيره. وحاصر هرثمة رافع بن الليث في سمرقند وضايقه، واستقدم طاهر بن الحسين من خراسان فحضر عنده، وعاث حمزة الخارجي في نواحي خراسان لخلائها من الجند، وحمل إليه عمال هراة وسجستان الأموال. ثم خرج عَبْد الرحمن إلي نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحواً من عشرين ألفاً، وسار حمزة فهزمه وقتل من أصحابه خلقاً وأتبعه إلي هراة، حتى كتب المـأمون إليه ورده عن

ذلك.وكانت سنة ثلاث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهرثمة، وأسر بشراً أخا رافع، وبعث به إلي الرشيد وافتتح بخارى. وكان الرشيد قد سار من الرقة بعد مرجعه من الصائفة التي بنى فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافع، وكان قد أصابه المرض، فاستخلف على الرقة إبنه القاسم وضم إليه خزيمة بن خازم، وجاء إلي بغداد. ثم سار منها إلي خراسان في شعبان سنة إثنتين وتسعين واستخلف عليها إبنه الأمين، وأمر المأمون بالمقام معه، فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد، وحذره البقاء مع الأمين فأسعفه الرشيد بذلك وسار معه.

وفاة الرشيد وبيعة الأمين :

ولما سار الرشيد عن بغداد إلي خراسان بلغ جرجان في صفر سنة ثلاث وتسعين واشتدت عليه، فبعث إبنه المأمون إلي مرو ومعه جماعة من القواد عَبْد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن خزيمة والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسدي والحريشي ونعيم بن خازم. ثم سار الرشيد إلي موسى واشتد به الوجع وضعف عن الحركة وثقل، فأرجف الناس بموته، وبلغه ذلك فأراد الركوب ليراه الناس فلم يطق النهوض فقال ردوني. ووصل إليه وهو بطوس بشير أخو رافع أسيراً، بعث به هرثمة بن أعين فأحضره وقال: لو لم يبق من أجلي إلا حركة شفتي بكلمة لقلت اقتلوه. ثم أمر قصاباً ففصل أعضاءه، ثم أغمي عليه وافترق الناس.

ولما يئس من نفسه أمر بقبره فحفر في الدار التي كان فيها وأنزل فيه قوماً قرؤا فيه القرآن حتى ختموه وهو في محفة على شفيره ينظر إليه وينادي واسوأتاه من رسول الله صلىالله عليه وسلم . ثم مات وصلى عليه إبنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة أو تزيد، وترك في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار.ولما مات الرشيد بويع الأمين في العسكر صبيحة يومه والمأمون يومئذ بمرو، وكتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد إلي نائبه ببغداد، وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد وهنأه

بالخلافة، فكان أول من فعل ذلك. وكتب صالح إلي أخيه الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد، وبعث معه بالخاتم والبردة

والقضيب، فانتقل الأمين من قصره بالخلد إلي قصر الخلافة. وصلى بالناس الجمعة وخطب ثم نعى الرشيد وعزى نفسه والناس، وبايعته جملة أهله ووكل سليمان بن المنصور، وهم عم أبيه وأمه بأخذ البيعة على القواد وغيرهم، ووكل السّندي بأخذ البيعة على الناس سواهم، وفرق في الجند ببغداد رزق سنين. وقدمت أمه زبيدة من الرقة فلقيها الأمين بالأنبار في جمع من بغداد من الوجوه، وكان معها خزائن الرشيد، وكان قد كتب إلي معسكر الرشيد وهو حي مع بكر بن المعتمر لمّا اشتدت علة الرشيد، وإلى المأمون بأخذ البيعة لهما وللمؤتمن أخيهما، وإلى أخيه صالح بالقدوم بالعسكر والخزائن والأموال برأي الفضل. وإلى الفضل بالاحتفاظ على ما معه من الحرم والأموال، وأقر كل واحد على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة.وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه ليستخرجها منه فجحدها فضربه وحبسه. ثم مات الرشيد وأحضره الفضل فدفعها إليه، ولما قرؤا الكتاب تشاوروا في اللحاق بالأمين، وارتحل الفضل بالناس لهواهم في وطنهم، وتركوا عهود المأمون. فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه، وهم عَبْد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قحطبة والعلاء مولى الرشيد،- وكان على حجابته-. والعباس بن المسيب بن زهير- وكان على شرطته- وأيوب بن أبي سمير- وهو على كتابته- وعبد الرحمن بن عَبْد الملك بن صالح وذو الرياستين الفضل بن سهل- وهو أخصهم به وأحظاهم عنده- فأشار بعضهم أن يركب في أثرهم ويردهم، ومنعه الفضل من ذلك وقال: أخشى عليك منهم، ولكن تكتب وترسل رسولك إليهم تذكرهم البيعة والوفاء، وتحذرهم الحنث، فبعث سهل بن صاعد ونوفلاً الخادم بكتابه إليهم بنيسابور، فقرأ الفضل كتابه وقال : أنا واحد من الجند.وشد عَبْد الرحمن برجليه على سهل ليطعنه بالرمح وقال: لو كان صاحبك حاضراً لوضعته فيه، وسب المأمون وانصرفوا، ورجع سهل ونوفل بالخبر إلي المأمون فقال له الفضل بن سهل: هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت بخراسان، وقد خرج بها المقنع وبعده يوسف البر فتضعضعت لهما الدولة ببغداد، وأنت رأيت عند خروج رافع بن الليث كيف كان الحال وأنت اليوم نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم فاصبر وأنا أضمن لك

الخلافة، فقال المأمون: قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقال: إن عَبْد الله بن مالك والقواد أنفع لك مني لشهرتهم وقوتهم، وأنا خادم

لمن يقوم بأمرك منهم حتى ترى رأيك. وجاءهم الفضل في منازلهم وعرض عليهم البيعة للمأمون، فمنهم من امتنع ومنهم من طرده، فرجع إلي المأمون وأخبره فقال: قم أنت بالأمر. وأشار عليه الفضل أن يبعث على الفقهاء ويدعوهم إلي الحق والعمل به وإحياء السنة ورد المظالم ويعقد على الصفوف، ففعل جميع ذلك، وأكرم القواد. وكان يقول للتميمي نقيمك مقام موسى بن كعب، وللربعيّ مكان أبي داود وخالد بن إبراهيم، ولليماني مكان قحطبة ومالك بن الهيثم، وكل هؤلاء نقباء الدولة. ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها وقالوا: ابن أختنا وابن عم نبين. وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والري، وأهدى إلي الأمين وكتب إليه وعظمه. ثم إن الأمين عزل لأول ولايته أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة، واستعمل عليها خزيمة بن خازم وأقر المؤتمن على قنسرين والعواصم. وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد، وعلى حمص إسحاق بن سليمان فخالف عليه أهل حمص، وانتقل عنهم إلي سلمية، فعزله الأمين وولى مكانه عَبْد الله بن سعيد الحرشي، فقتل عدة منهم وحبس عدة وأضرم النار في نواحيها، وسألوا الأمان فأجابهم. ثم انتقضوا فقتل عدة منهم، ثم ولى عليهم إبراهيم بن العباس.

أخبار رافع وملوك الروم

وفي سنة ثلاث وتسعين دخل هرثمة بن أعين سمرقند وملكها وقام بها، ومعه طاهر بن الحسين، فاستجاش رافع بالترك فأتوه وقوى بهم. ثم انصرفوا وضعف أمره، وبلغه الحسن سيرة المأمون فطلب الأمان وحضر عند المأمون، فأكرمه. ثم هدم هرثمة على المأمون فولاه الحرس، وأنكر الأمين ذلك كله. وفي هذه السنة قتل يقفور ملك الروم في حزب برجان لسبع سنين من ملكه، وملك بعده إبنه استبراق وكان جريحاً فمات لشهرين، وملك بعده صهره على أخته ميخاييل بن جرجيس، ووثب عليه الروم سنة أربع وتسعين بعد اثنتين من ملكه، فهرب وترهب وولوا بعده إليون القائد

الفتنة بين الأمين والمأمون:

ولما قدم الفضل بن الربيع على الأمين ونكث عهد المأمون خشي غائلته، فأجمع قطع علائقه من الأمور وأغرى الأمين بخلعه والبيعة للعهد لإبنه موسى، ووافقه في ذلك على بن عيسى بن ماهان والسنديّ وغيرهما ممن يخشى المأمون. وخالفهم خزيمة بن خازم وأخوه عَبْدالله، وناشدوا الأمين في الكف عن ذلك وأن لا يحمل الناس على نكث العهود فيطرقهم لنكث عهده. ولج الأمين في ذلك وبلغه أن المأمون عزل العباس بن عَبْد الله بن مالك عن الري، وأنه ولىّ هرثمة بن أعين على الحرس، وأن رافع بن الليث أستأمن له فأفنه وسار في جملته فكتب إلي العمال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤتمن، فبلغ ذلك المأمون فأسقط اسم الأمين من الطرد وقطع البريد عنه. وأرسل الأمين إليه العباس بن موسى بن عيسى، وخاله عيسى بن جعفر بن المنصور وصالحا صاحب الموصل، ومحمد بن عيسى بن نَهِيك يطلب منه تقديم إبنه موسى عليه في العهد ويستقدمه. فلما قدموا على المأمون استشار كبراء خراسان فقالوا: إنما بيعتنا لك على أن لا تخرج من خراسان، فأحضر الوفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤا فيه. واستعمل الفضل بن سهل العباس بن موسى ليكون عيناً لهم عند الأمين ففعل، وكانت كتبه تأتيهم بالأخبار. ولما رجع الوفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان، وأن يكون له بخراسان صاحب بريد يكاتبه، فامتنع المأمون من ذلك وأوعد إلي قعوده بالري ونواحيها يضبط الطرق وينقذها من غوائل الكتب والعيون، وهو مع ذلك يتخوف عاقبة الخلاف. وكان خاقان ملك التبت قد التوى عليه، وجيفونة فارق الطاعة، وملوك الترك منعوا الضريبة، فخشي المأمون ذلك، وحفظ عليه الأمر بأن يولي خاقان وجيفونة بلادهما، ويوادع ملك كابل، ويترك الضريبة لملوك الترك الآخرين. وقال له بعد ذلك: ثم أضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال، فإن ظفرت وإلا لحقت بخاقان مستجيراً فقبل إشارته وفعلها، وكتب إلي الأمين يخادعه بأنه عامله على هذا الثغر الذي أمره الرشيد بلزومه، وأن مقامه به أشد غناء ويطلب

إعفاءه من الشخوص إليه، فعلم الأمين أنه لا يتابعه على مراده، فخلعه وبايع لولده في أوائل سنة خمس وتسعين، وسمّاه الناطق بالحق، وقطع ذكر المأمون والمؤتمن من المنابر، وجعل ولده موسى في حجر علي بن عيسى، وعلى شرطته محمد بن عيسى بن نهيك،

وعلى حرسه أخوه عيسى، وعلى رسائله صاحب القتلى. وكان يدعى له على المنابر ولابنه الآخر عَبْد الله ولقبه القائم بالحق، وأرسل إلي الكعبة من جاء بكتابي العهد للأمين والمأمون اللذين وضعهما الرشيد هنالك، وسارت الكتب من ذلك إلي المأمون ببغداد من عيونه بها، فقال المأمون: هذه أمور أخبر الرائي عنها وكفاني أنا أن أكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل إلي جند الري بالأقوات والإحسان، وجمع إليهم من كان بأطرافهم. ثم بعث على الري طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق أسعد الخزاعي أبا العباس أميراً وضم إليه القواد والأجناد، فنزلها ووضع المسالح والمراصد، وبعث الأمين عصمة بن حماد بن سالم إلي همذان في ألف رجل، وأمره أن يقيم بهمذان ويبعث مقدمته إلي ساوة.

خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله:

ثم جهز الأمين علي بن عيسى بن ماهان إلي خراسان لحرب المأمون، يقال دس بذلك الفضل بن سهل العين له عند الفضل بن الربيع، فأشار به عليهم لمّا في نفوس أهل خراسان من النفرة عن ابن ماهان فجدّوا في حربه. ويقال حرّض أهل خراسان على الكتب إلي ابن ماهان ومخادعته إن جاء. فأمره الأمين بالمسير وأقطعه نهاوند وهمذان وقُم وأصبهان وسائر كور الجبل حرباً وخراجاً، وحكمه في الخزائن وأعطاه الأموال، وجهز معه خمسين ألف فارس. وكتب إلي أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلْيّ وهلال بن عَبْد الله الحضرميّ في الانضمام، وركب إلي باب زبيدة ليودعها فأوصته بالمأمون بغاية ما يكون أن يوصى به، وأنه بمنزلة إبنها في الشفقة والموصلة، وناولته قيداً من فضة وقالت له: إن سار إليك فقيده به مع المبالغة في البر والأدب معه. ثم سار علي بن عيسى من بغداد في شعبان، وركب الأمين يشيعه في القواد والجنود، ولم ير عسكر مثل عسكره. ولقي السفر بالسابلة فأخبروه أن طاهرا بالريّ يعرض أصحابه، وهو مستعد للقتال. وكتب إلي ملوك الديلم وطبرستان يعدهم ويمنيهم، وأهدى لهم التيجان والأسورة على أن يقطعوا الطرق عن خراسان فأجابوا، ونزل أول بلاد الري، فأشار عليه أصحابه بإذكاء العيون والطلائع، والتحصن

بالخندق فقال: مثل طاهر لا يستعدّ له، وهو إما أن يتحصن بالريّ فيثب إليه أهلها، وأمَّا أن يفر إذا قربت منه خيلنا. ولما كان من الريّ على عشرة فراسخ استشار أصحاب طاهر في لقائه فمالوا إلي التحصّن بالريّ فقال: أخاف أن يثب بنا أهلها. وخرج فعسكر على خمسة فراسخ

منها في أقل من أربعة آلاف فارس. وأشار عليه أحمد بن هشام كبير جند خراسان أن ينادي بخلع الأمين وبيعة المأمون لئلا يخادعه علي بن عيسى بطاعة الأمين وأنه عامله ففعل، وقال علي لأصحابه: بادروهم فإنهم قليل ولا يصبرون على حد السيوف وطعن الرماح، وأحكم تعبية جنده، وقدم بين يديه عشر رايات مع كل راية ألف رجل، وبين كل رايتين غلوة سهم ليقاتلوا نوبا. وعبى طاهر أصحابه كراديس وحرضهم وأوصاهم، وهرب من أصحاب طاهر جماعة، فجلدهم علي وأهانهم، فأقصر الباقون وجذوا في قتاله..

وأشار أحمد بن هام على طاهر بأن يرفع كتاب البيعة على رمح ويذكر علي بن عيى بها نكثه. ثم اشتد القتال وحملت ميمنة علي فانهزمت ميسرة طاهر، وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فأزالوها، واعتمد طاهر القلب فهزموهم، ورجعت المجنبتان منهزمة، وانتهت الهزيمة إلي علي وهو ينادي لأصحابه. فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله وجاء برأسه إلي طاهر، وحمل شلوه على خشبة وألقي في بئر بأمر طاهر. وأعتق طاهر جميع غلمانه شكرا لله، وتمت الهزيمة. واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين وأقفوهم فيها اثنتي عشرة مرة يقتلونهم في كلها ويأسرونهم، حتى جن الليل بينهم.

ورجع طاهر إلي الري وكتب إلي الفضل: كتابي إلي أمير المؤمنين ورأس علي بين يدي وخاتمه في إصبعي، وجنده متصرفون تحت أمري والسلام. وورد الكتاب على البريد في ثلاثة أيام، فدخل الفضل على المأمون وهنأه بالفتح، ودخل الناس فسلموا عليه بالخلافة ووصل رأس علي بعدها بيومين وطيف به في خراسان، ووصل الخبر إلي الأمين بمقتل علي وهزيمة العسكر، فأحضر الفضل بن الربيع وكيل المأمون ببغداد وهو نوفل الخادم، فقبض ما بيده من ضياعه وغلاته وخمسين ألف ألف درهم كان الرشيد وضاه بها، وندم الأمين على فعله، وسعت الجند والقواد في طلب الأرزاق، فهم عَبْد الله بن حاتم بقتالهم فمنعه الأمين وفرق فيهم أموالا.

مسير ابن جبلة إلي طاهر ومقتله:

ولما قتل علي بن عيسى بعث الأمين عَبْد الرحمن بن الأنباري في عشرين ألف فارس إلي همذان، وولّاه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خراسان وأمدّه بالمال، فسار إلي همذان وحصّنها، وجاءه طاهر فبرز إليه ولقيه، فهزمه طاهر إلي البلد. ثم خرج عَبْد الرحمن ثانية فانهزم إلي المدينة، وحاصره طاهر حتى ضجر منه أهل المدينة وطلب الأمان من طاهر، وخرج من همذان. وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشي من

صاحب قزوين أن يأتيه من ورائه، فجهّز العسكر على همذان. وسار إلي قزوين في ألف فارس، ففرّ عاملها وملكها. ثم ملك همذان وسائر أعمال الجبل، وأقام عَبْد الرحمن بن جبلة في أمانه. ثم أصاب منه بعض الأيام غرة فركب وهجم عليه في عسكر، فقاتله طاهر أشدّ القتال، حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق فلّهم بعبد الله وأحمد إبني الحريشيّ في عسكر عظيم بعثهما الأمين مدداً لعبد الرحمن، فانهزموا جميعاً إلي بغداد. وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأخذه إلي حلوان فخندق بها وجمع أصحابه.

بيعة المأمون:

وأمر المأمون عندها بأن يخطب له على المنابر، ويخاطب بأمير المؤمنين، وعقد للفضل بن سهل على المشرق كلّه من جبل همذان إلي البيت طولاً، ومن بحر فارس إلي بحر الديلم وجرجان عرضاً، وحمل له عمّاله ثلاثة آلاف ألف درهم. وعقد له لواء ذا شعبتين ولقّبه ذا الرياستين يعني الحرب والعلم، وحمل اللواء علي بن هشام، وحمل العلم نعيم بن خازم، وولّى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج.

ظهور السفياني:

هو علي بن عد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقّب أبا العميطر لأنه زعم أنها كنية الحردون فلقّبوه بها، وكانت أمه نفيسة بنت عَبْد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب، وكان يقول: أنا ابن شيخي صفين يعني علياً ومعاوية. وكان من بقايا بني أُمَيَّة بالشام. وكان من أهل العلم والرواية، فادّعى لنفسه بالخلافة آخر سنة خمس وتسعين. وأعانه الخطاب بن وجه العلس مولى بني أُمَيَّة، كان متغلباً على صيدا، فملك دمشق من يد سليمان بن المنصور، وكان أكثر أصحابه من كلب. وكتب إلي محمد بن صالح بن بيهس يدعوه ويتهدده فأعرض عنه.وقصد السفياني القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح، فجاءهم في ثلثمائة فارس من الصبات ومواليه. وبعث السفياني يزيد بن هشام للقائهم في إثني عشر ألفاً، فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم. ثم جمع جمعاً مع إبنه القاسم وخرجوا

إلي ابن بيهس فانهزموا، وقتل القاسم وبعث برأسه إلي الأمين. ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع مولاه المعتمر فانهزموا، وقتل المعتمر فوهن أمر السفياني وطمعت فيه قيس. ثم إن ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني نمير وأوصاهم بيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد بن مسلمة بن عَبْد الملك بالخلافة. وقال لهم: تولوه وكيدوا به السفياني فإنكم لا تتقون بأهل بيته. وعاد ابن بيهس إلي حوران، واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه، فقتل منهم وجمع مواليه. ودخل على السفياني فقيده وحبس رؤساء بني أُمَيَّة، وأدنى القيسية وجعلهم بطانة. وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء إلي دمشق وحاصرها وسلمها له القيسية في محرم سنة ثمان وتسعين وهرب مسلمة ، السفياني إلي المزة، وملك ابن بيهس دمشق إلي أن قدم عَبْد الله بن طاهر دمشق وسار إلي مصر، ثم عاد إليها فاحتمل ابن بيهس معه إلي العراق ومات بها.

مسير الجيوش إلي طاهر ورجوعهم بلا قتال:

ولما قتل عَبْد الرحمن بن جبلة أرسل الفضل بن الربيع إلي أسد بن يزيد بن مزيد ودعاه لحرب طاهر بعد أن ولّي الأمين الخلافة، وشكر لأسد فضل الطاعة والنصيحة وشدة البأس ويمن التقية. وطلب منه أرزاق الجد من المال لسنة، وألف فرس تحمل من معه بعد إزاحته عللهم بالأموال، وأن لا يطلب بحسبان ما يفتتح. فقال: قد أشططت ! ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين. ثم ركب ودخل على الأمين فأمر بحبسه، وقيل إنه طلب ولدي المأمون كانا عند أمهّما إبنة الهادي ببغداد بحملهما معه، فإن أطاعه المأمون وإلّا قتلهما. فغضب الأمين لذلك وحبسه، واستدعى عَبْد الله بن حميد بن قحطبة فاشتط كذلك، فاستدعى أحمد بن مزيد واعتذر له عبس أسد وبعثه لحرب طاهر، وأمر الفضل بأن يجهز له عشرين ألف فارس، وشفع في أسد بن أخيه فأطلقه.ثم سار وسار معه عَبْد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً أخرى وانتهوا إلي حلوان وأقاموا وطاهر بموضعه ودس المرجفين في عسكرهم، بأن العطاء والمنع ببغداد، والجند يقبضون أرزاقهم. حتى مشى الجند بعضهم إلي بعض، واختلفوا واقتتلوا ورجعوا من غير لقاء. وتقدم طاهر فنزل

حلوان وجاءه هرثمة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلم إلي هرثمة ما ملكه من المدن ويتقدم إلي الأهواز ففعل ذلك.

أمر عَبْد الملك بن صالح وموته.

قد تقدم لنا حبس عَبْد الملك بن صالح إلي أن مات الرشيد وأخرجه الأمين، ولما كان أمر طاهر جاء عَبْد الملك إلي الأمين وأشار عليه بأن يقدم أهل الشام لحربه، فهم أجرأ من أهل العراق وأعظم نكاية في العدو، وضمن طاعتهم بذلك فولاه الأمين أهل الشام والجزيرة وقر له بالمال والرجال واستحثه. فسار إلي الرقة وكاتب أهل الشام فتسالموا إليه، فأكرمهم وخلع عليهم وكثرت جموعه. ثم مرض واشتد مرضه ووقعت فتنة في عسكره بين الخراسانيين وأهل الشام بسبب دابة أخذت لبعضهم في وقعة سليمان بن أبي جعفر وعرفها عند بعض أهل الشام، فاقتتلوا وأرسل إليهم عَبْد الملك بالقتل فلم يقتلوا، وأكثر القتل وأظهر عَبْد الملك النصرة للشاميين وانتقض الحسين بن مملي للخراسانيين وتنادى الناس بالرجوع إلي بلادهم، فمضى أهل حمص وقبائل كلب، فانهزم أهل الشام وأقام عَبْد الملك بن صالح بالرقة، توفي بها.

خلع الأمين وإعادته:

ولما مات عَبْد الملك بن صالح نادى الحسين بن علي في الجند بالرحيل إلي بغداد، وقدمها فلقيه القوّاد ووجوه الناس، ودخل منزله واستدعاه الأمين من جوف الليل، فامتنع وأصبح، فوافى باب الجسر وأغراهم بخلع الأمين، وحذرهم من نكثه. ثم أمرهم بعبور الجسر فعبروا، ولقيه أصحاب الأمين فانهزموا، وذلك منتصف رجب سنة ست، وأخذ البيعة للمأمون من الغد. ووثب العبّاس بن عيسى بن موسى بالأمين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور ومعه أمه زبيدة، فلما كان من الغد طلب الناس أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم في بعض، وقام محمد بن أبي خالد فنكر استبداد الحسين بخلع الأمين وليس بذي منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غنائم.وقال أسد الحربي: قد ذهب أقوام بخلع الأمين، فاذهبوا أنتم بفكه يا معشر الحربية، فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا: ما قتل قوم

خليفتهم إلا سلّط الله عليهم السيف. ثم نهضوا إلي الحسين وتبعهم أهل الأرض فقاتلوه قتالاً شديداً وأسروه. ودخل

أسد الحربي إلي الأمين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته، وأمرهم الأمين بلبس السلاح، فانتهبه الغوغاء وجيء بالحسين إليه أسيراً، فاعتذر إليه وأطلقهم، وأمر بجمع الجند والمسير إلي طاهر، وخلع عليه ما وراء بابه. ووقف الناس يهنئونه بباب الجسر حتى إذا خف عنه الناس قطع الجسر وهرب، وركب الجند في طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد وقتلوه وجاؤا برأسه إلي الأمين، واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يوقف له على خبر.

استيلاء طاهر علي البلاد:

ولما جاء كتاب المأمون بالمسير إلي الأهواز قدم إليها الحسين بن عمر الرستمي، وسار في أثره وأتته عيونه بأن محمد بن يزيد بن حاتم قد توجه من قبل الأمين في جند ليحمي الأهواز من أصحاب طاهر، فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخارا أخذاه مدداً للرستمي. ثم أمدهم بقريش بن شبل. ثم سار بنفسه حتى كان قريباً منهم، وأشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم، وقد أشار إليه أصحابه بالرجوع إلي الأهواز والتحصن بها حتى تأتيه قومه الأزد من البصرة، فرجع وأمر طاهر قُرَيْش بن شبل باتباعه قبل أن يتحصن بالأهواز، فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد إلي الأهواز، وجاء على أثره فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفرّ أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا.وملك طاهر الأهواز، وولّى على اليمامة والبحرين وعمان. ثم سار إلي واسط وبها السّندي بن يحيى الحريشيّ والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن حازم، فهربا عنها وملكها طاهر وبعث قائداً من قواده إلي الكوفة وبها العبّاس بن الهادي، فخلع الأمين وبايع للمأمون، وكتب بذلك إلي طاهر، وكذلك فعل المنصور بن المهدي بالبصرة والمطلب بن عَبْد الله بن مالك بالموصل، وأقرهم طاهر على أعمالهم.وبعث الحرث بن هشام وداود بن موسى إلي قصر ابن هبيرة وأقام بجرجابا. ولما بلغ الخبر بذلك إلي الأمين بعث محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري إلي قصر ابن هبيرة فقاتلهم الحرث وداود قتالاً شديداً وهزموهم إلي بغداد. وبعث الأمين أيضاً الفضل بن موسى على الكوفة، فبعث إليه طاهر بن العلاء في جيش فلقيه في طريقه، فأراد

مسالمته بطاعة المأمون كياداً، ثم قاتله فانهزم إلي بغداد. ثم سار طاهر إلي المدائن

وعليها البرمكي، والمدّد متصل له كل يوم، فقدم قُرَيْش بن شبل، فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكي في التعبية فكانت لا تتم له، فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، وملك طاهر المدائن ونواحيها، ثم نزل صرصر وعقد بها جسراً.

بيعة الحجاز للمأمون:

ولما أخذ الأمين كتب العهد من مكة، وأمر داود بن عيسى، وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام في الناس ونكر نقض العهد وذكرهم ما أخذ الرشيد عليهم من الميثاق لإبنيه في المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم، وأن محمداً بدأ بالظلم والنكث، وخلع أخويه وبايع لطفل صغير رضيع، وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظلماً، ثم دعا إلي خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه، ونادى بذلك في شعاب مكة وخطبهم. وكتب إلي إبنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله، وذلك في رجب سنة ست وتسعين. وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان إلي المأمون، وأخبره فسر بذلك وولاه مكانه، وأضاف إليه ولاية عك. وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى على الموسم، ويزيد بن جرير بن مزيد بن خالد القسري في جند كثيف عاملاً على اليمن، ومروا بطاهر وهو محاصر بغداد؟ فأكرمهم وأقام يريد اليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه.

حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الأمين:

ولما اتصلت بالأمين هذه الأحوال، وقتل الحسين بن علي بن عيسى، شمّر لحرب طاهر واستعد له. وعقد في شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة شتى، وأمر عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك، وأمرهم بالمسير إلي هرثمة فساروا إليه والتقوا بنواحي النهروان في رمضان، فانهزموا وأسر قائدهم علي بن محمد، فبعث به هرثمة إلي المأمون وترك النهروان، وأقام طاهر بصرصر، والجيوش تتعاقب من قبل الأمين فيهزمها، ثم بذل الأمين الأموال ليستفسد بها عساكرهم، فسار إليه من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف، لفرق فيهم الأموال، وقود جماعة من الحربية، ودس إلي رؤساء

الجند في عسكر طاهر ورغبهم، فشغبوا على طاهر وسار كثير منهم إلي الأمين، وانضموا إلي قواد الحربية وقوّاد بغداد وساروا إلي صرصر. فعبى أصحابه كراديس وحرضهم ووعدهم.ثم تقدم فقاتلهم ملياً من النهار، وانهزم أصحاب الأمين، وغنم أصحاب طاهر عسكرهم. ولما وصلوا إلي الأمين فرق فيهم الأموال وقود منهم جماعة ولم يعط المنهزمين شيئاً، ودس إليهم طاهر واستمالهم، فشغبوا على الأمين. فأمر هؤلاء المحدثين بقتالهم وطاهر يراسلهم وقد أخذ رهائنهم على الطاعة، وأعطاهم الأموال. فسار فنزل باب الأنبار بقواده وأصحابه، واستأمن إليه كثير من جند الأمين، وثارت العامة وفتقت السجون، ووثب الشطار على الأخيار. ونزل زهير بن مسيب الضبي من ناحية، ونصب المجانيق والعرادات، وحفر الخنادق. ونزل هرثمة بناحية أخرى وفعل مثل ذلك. ونزل عبيد الله بن الوضاح بالشماسية، ونزل طاهر بباب الأنبار، فضيق على الأمين بمنزله ونفد ما كان بيد الأمين من الأموال، وأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة. وضرب آنية الذهب والفضة ليفرقها في الجند، وأحرق الحديثة فمات بها خلق، واستأمن سعيد بن مالك بن قادم إلي طاهر فولاه الأسواق وشاطىء دجلة، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب، وأمده بالرجال والأموال. ووكّل الأمين بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور إلي دجلة بعض قوّاده، فألح في إحراق الدور والرمي بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك. وكثر الخراب ببغداد، وصار طاهر يخندق على ما يمكنه من النواحي ويقاتل من لم يجبه ، وقبض ضياع من لم يخرج إليه من بني هاشم والقواد وعجز الأجناد عن القتال.وقام به الباعة والعيارون، وكانوا ينهبون أموال الناس. واستأمن إليه القائد الموكل بقصر صالح فأمنه وسلم إليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الأخيرة من سنة سبع . واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب الشرطة فوهن الأمين. واجتمع العيارون والباعة والأجناد وقاتلوا أصحاب طاهر في قصر صالح، وقتلوا منهم خلقاً، وكاتب طاهر القواد بالأمان وبيعة المأمون، فأجابه بنو قحطبة كلهم ويحيى بن علي بن ماهان، ومحمد بن أبي العباس الطائي وغيرهم. وفشل الأمين وفوض الأمر إلي محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الحسن الهرش، ومعهم الغوغاء يتولون

أمر تلك الفتنة. وأجفل الناس من بغداد وافترقوا في البلاد.ولما وقع بطاهر في قصر صالح ما وقع بأصحابه شرع في هدم المباني وتخريبها، ثم قطع الميرة عنهم، وصرف السفن التي تحمل فيها إلي الفرات. فغلت الأسعار

وضاق الحصار، واشتد كلب العيارين فهزموا عبيد الله بن الوضاح وغلبوه على الشماسية. وجاء هرثمة ليعيق فهزموه أيضاً وأسروه، ثم خلصه أصحابه. وعقد طاهر جسراً فوق الشماسية وعبر إليهم وقتلهم أشد قتال فردهم على أعقابهم، وقاتل منهم بشراً كثيراً . وعاد ابن الوضاح إلي مركزه، وأحرق منازل الأمين بالخيزرانية، وكانت النفقة فيها بلغت عشرين ألف درهم، وأيقن الأمين بالهلاك ، وفر منه عَبْد الله بن خازم بن خزيمة إلي المدائن لأنه اتهمه وحمل عليه السفلة والغوغاء.ويقال بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه، لخرج عن الأمين وقصد الهرش ومن معه جزيرة العباس من نواحي بغداد، فقاتلهم بعض أصحاب طاهر وهزموهم، وغرق منهم خلق كثير. وضجر الأمين وضعف أمره، وسار المؤتمن بن الرشيد إلي المأمون فولاه جرجان، وكاتب طاهر خزيمة بن حازم ومحمد بن علي بن موسى بن ماهان وأدخلهما قي خلع الأمين فأجاباه، ووثبا آخر محرم من سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة، وخلع الأمين، وبعث إلي هرثمة وكان بإزائهما فسار إليهما من ناحيته، ودخل عسكر المهدي وملكه. وقدم طاهر من الغد إلي المدينة والكرخ فقاتلهم وهزمهم وملكها عنوة ونادى بالأمان، ووضع الجند بسوق الكرخ وقصر الوضاح، وأحاط بمدينة المنصور وقصر زبيدة وقصر الخلد من باب الجسر إلي باب البصرة، وشاطىء الصراة إلي مصبها في دجلة، ونصب عليها المجانيق.واعتصم الأمين في أمّه وولده بمدينة المنصور، واشتد عليه الحصار، وثبت معه حاتم بن الصقر والحرشي والأفارقة. وافترق عامة الجنود والخصيان والجواري في الطرق، وجاء محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقي إلي الأمين وقالا له: بقي من خيلك سبعة آلاف فرس، نختار سبعة آلاف ونجعلهم عليها، ونخرج على بعض الأبواب ولا يشعر بنا أحد، ونلحق بالجزيرة والشام فيكون ملك جديد، وربما مال إليك الناس ويحدث الله أمراً. فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر إلي طاهر، فكتب إلي سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك يتهددهم إن لم يصرفوه عن ذلك الرأي. فدخلوا على الأمين وحذروه من ابن الصقر وابن الأغلب أن يجعل نفسه في أيديهم فيتقربوا به إلي طاهر، وأشاروا عليه بطلب الأمان على يد هرثمة بن أعين

والخروج إله، وخالفهم إليه ابن الصقر وابن الأغلب.وقالوا له: إذا ملت إلي الخوارج فطاهر خير لك من هرثمة فأبى، وتطير من طاهر، وأرسل إلي هرثمة يستأمنه. فأجابه أنه يقاتل في أمانة المأمون فمن دونه

وبلغ ذلك طاهراً فعظم عليه أن يكون الفتح لهرثمة، واجتمع هو وقواده لهرثمة وقواده في منزل خزيمة بن حازم، وحضر سليمان والسندي وابن نهيك وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً، وأنه يخرج إلي هرثمة ويدفع إليه الخاتم والقضيب والبردة وهو الخلافة فرضي.ثم جاءه الهرش وأسر إليه أنهم يخادعونه وأنهم يحملونها مع الأمين إلي هرثمة، فغضب وأعد رجالاً حول قصور الأمين. وبعث إليه هرثمة لخمس بقين من محرم سنه ثمان وتسعين بأن يتربص ليلة لأنه رأى أولئك الرجال بالشط فقال: قد افترق عني الناس ولا يمكنني المقام لئلا يدخل علي طاهر فيقتلني. ثم ودع إبنيه وبكى وخرج إلي الشط،وركب حراقه هرثمة. وجعل هرثمة يقبل يديه ورجليه وأمر بالحراقة أن تدفع، وإذا بأصحاب طاهر في الزواريق، فشدوا عليها ونقبوها ورموهم بالآجر والنشاب فلم يرجعوا، ودخل الماء إلي الحراقة فغرقت.قال أحمد بن سالم صاحب المظالم: فسقط الأمين وهرثمة وسقطنا، فتعلق الملاح بشعر هرثمة وأخرجه، وشق الأمين ثيابه. قال: وخرجت إلي الشط فحملت إلي طاهر فسألني عن نفسي فانتسبت، وعن الأمين فقلت غرق، فحملت إلي بيت وحبست فيه حتى أعطيتهم مالاً فاديتهم به على نفسي. فبعد ساعة من الليل فتحوا علي الباب وأدخلوا علي الأمين عريان في سراويل وعمامة، وعلى كتفه خرقة فاسترجعت وبكيت. ثم عرفني فمال: ضمني إليك فإني أجد وحشة شديدة، فضممته وقلبه يخفق فقال. يا أحمد! ما فعل أخي فقلت حي. قال: قبح الله بريدهم كان يقول قد مات، يريد بذلك العذر عن محاربته، فقلت: بل قبح الله وزراءك فقال: تراهم يفون لي بالأمان! قلت: نعم إن شاء الله.ثم دخل محمد بن حميد الطاهري فاستثبتنا حتى عرفه وانصرف، ثم دخل علينا منتصف الليل قوم من العجم منتضين سيوفهم، فدافع عن نفسه قليلاً ثم ذبحوه ومضوا برأسه إلي طاهر، ثم جاؤا من السحر فأخذوا جثته. ونصب طاهر الرأس حتى رآه الناس، ثم بعث به إلي المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسن بن مصعب، ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح . فلما رآه المأمون سجد.ولما قتل الأمين نادى طاهر بالأمان، ودخل المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الأمين، ووكل بحفظ القصور

الخلافية ، وأخرج زبيدة أم الأمين وإبنيه موسى وعبد الله إلي بلاد الزاب الأعلى. ثم أمر بحمل الولدين إلي المأمون، وندم الجند على قتله. وطالبوا طاهراً بالأموال، فارتاب بجند بغداد وبجند ه أنهم تواطؤا عليه،

وثاروا به لخمس من قتل الأمين. فهرب إلي عقرقوبا ومعه جماعة من القواد. ثم تعبى لقتالهم فجاؤا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والأحداث فصغ عمهم وتوعدهم أن يعودوا لمثلها، وأعطاهم أربعة أشهر. واعتذر إليه مشيخة بغداد وحلفوا أنهم لم يدخلوا الجند في شيء من ذلك، فقبل منهم ووضعت الحرب أوزارها واستوسق الأمر للمأمون في سائر الأعمال والممالك.ثم خرج الحسن الهرش في جماعة من السفلة واتبعه كثير من بوادي الأعراب،ودعا إلي الرضا من آل محمد ، وأتى النيل فجبى الأموال ونهب القرى. وولّى المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتتحه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن، فقدم سنه تسعة وتسعين وفرق العمال وولّى طاهراً على الجزيرة والموصل والشام والمغرب، وأمره أن يسير إلي قتال نصر بن شبيب، وأمر هرثمة بالمسير إلي خراسان، وكان نصر بن شبيب من بني عقيل بن كب بن ربيعة بن عامر في كيسوم شمالي حلب، وكان له ميل إلي الأمين. فلما قتل أظهر الوفاء له بالبيعة، وغلب على ما جاوره من البلاد، وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب، وعبر إلي شرقي العراق، وحصر حران.وسأل منه شيعة الطالبيين أن يبايعوا لبعض آل علي لمّا رأوه من بني العباس ورجالهم وأهل دولتهم وقال: والله لا أبايع أولاد السوداوات، فيقول: إنه خلقني ورزقني. قالوا: فبعض بني أُمَيَّة قال: قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل ولو سلم علي رجل مدبر لأعداني بإدباره، وإنما هواي في بني العباس، وإنما حاربتهم لتقديمهم العجم على العرب. ولما سار إليه طاهر نزل الرقة وأقام بها وكتب إليه يدعوه إلي الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه، وجاء الخبر إلي طاهر في الرقة بوفاة أبيه الحسين بن زريق بن مصعب بخراسان، وأن المأمون حضر جنازته. ونزلا الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه.وبعد قتل الأمين كانت الوقعة بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان عليّ بن الحسن الهمداني متغلباً على الموصل فعسف بالنزارية ، وسار عثمان بن نعيم البرجمي إلي ديار مصر، وشكا إلي أحيائهم واستنفرهم، فسار معه من مصر عشرون ألفاً وأرسل إليهم علي بن الحسن بالرجوع إلي ما يريدون، فأبى عثمان فخرج علي في أربعة آلاف فهزمهم وأثخن فيهم وعاد إلي البلد.

ظهور ابن طباطبا العلوي:

لمّا بعث المأمون الحسن بن سهل إلي العراق وولاّه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والأعمال، تحدث الناس أن الفضل بن سهل غلب على المأمون واستبد عليه وحجبه عن أهل بيته وقوّاده، فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة. وكان أبو السرايا السري بن منصور ويذكر أنه من بني شيبان من ولد هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود، وقيل من بني تميم بالجزيرة، وطلب فعبر إلي شرقي الفرات وأقام هناك يخيف السابلة ثم لحق بيزيد بن مزيد بأرمينية في ثلاثين فارساً فقوّده وقاتل معه الحرمية وأسر منهم وأخذ منهم غلامه أبا الشوك. ومات يزيد بن مزيد فكان مع ابنه أسد، وعزل أسد فسار إلي أحمد بن مزيد. ولما بعث الأمن أحمد بن مزيد لحرب هرثمة بعثه طليعة إلي عسكره، فاستماله هرثمة فمال إليه ولحق به وقصد بني شيبان مع الجزيرة، واستخرج لهم الأرزاق من هرثمة واجتمع إليه أزيد من ألفي فارس. فلما قتل الأمين تعصى هرثمة عن أرزاقهم فغضب واستأذن في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرقها في أصحابه ومضى وأوصاهم باتباعه، فاجتمع له منهم نحو مائتين وسار إلي عين التمر، فأخذوا عاملها وقسمّوا ماله، ولقوا عاملاً آخر بمال موفور على ثلاثة أنفار فاقتسموه. وأرسل هرثمة عسكراً خلفه فهزمهم، ودخل البرية. ولحق به من تخفف من أصحابه فكثر جمعه، وسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغامة في سبعمائة فارس، فخرج وقاتله فهزمه، ورجع إلي القصر فحاصره أبو السرايا حتى نزل على الأمان وأخذ أمواله. وسار إلي الأنبار وعليها إبراهيم الشروي مولى المنصور، فقتله وأخذ ما فيها وعاد إليها عند إدراك الغلال فافتتحها. ثم قصد الرقة ومرّ بطوق بن مالك الثعلبي فاستجاشه على قيس، فأقام عنده أربعة أشهر يقاتل قيساً بعصبية ربيعة حتى انقادت قيس إلي طوق. وسار أبو السرايا إلي الرقة فلقي محمد بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ، وتلقب أبوه إبراهيم طباطبا فدعاه إلي الخروج، وأنفذ إلي الكوفة فدخلاها وبايعهم أهلها على بيعة الرضا من آل محمد،

ونهب أبو السرايا قصر العباس بن موسى بن عيسى، وأخذ ما فيه من الأموال والجواهر مما لا يحصى، وذلك منتصف جمادى الأخيرة سنة تسعة